

القدس

أنسيمس

العبد الهاوب

٤٨٠



تقديم ومراجعة

نيافة الأنبا متاؤس

للراهب تكلا السريانى

٢٠١٧

٣٣

بِسْمِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْإِلَهُ الْوَاحِدُ أَمِينٌ

مقدمة

أنسيموس: كلمة يونانية معناها «نافع».

وأنسيموس هو العبد والخادم لعائلة فيليمون المسيحي البارز في كولوسى وقد سرق منه بعض المال وهرب إلى روما وعاش عيشة فاسدة ثم التقى ببولس الرسول حينما كان مسجوناً في روما للمرة الأولى وأصبح مسيحياً وتاب عن أعماله الشريرة وأصبح ابن البار بولس الرسول الذي ولده في قيوده كما أصبح الخادم الأمين الملائم له في شيخوخته سواء في رحلاته وتبشيره أو في سجنه الثاني حتى استشهاده.

شخصية أنسيموس عجيبة حقاً ومتقلبة ، مرت في أطوار كثيرة من حضيض الخطية والفقر والوثنية والعربدة والفجور إلى سمو المسيحية والقداسة والبنوة والخدمة والتبشير والأسقفية حتى إلى الاستشهاد وأكليل المجد ، حقاً إن غير المستطاع عند الناس مستطاع عند الله - (لو ٢٧: ١٨) فقد استطاع الله أن يغير أنسيموس من التقى إلى التقى وأن يحوله من أقصى شمال الخطية والشر والمجون إلى أقصى بين القداسة والبر ومحبة المسيح وخدمته حتى أكليل الشهادة والمجد.

المقدمة :-

لا شك أن رسالة القديس بولس الرسول إلى تلميذه فليمون رسالة نفسية رائعة ، تدل على مشاعر بولس الرسول وكرم أخلاقه وطيب علاقاته بأصدقائه . كما أنها تبين تأثير المسيحية على العلاقات الاجتماعية بصورة عامة وروح المحبة والعدالة في المجتمع .

لو كانت الحياة الروحية سهلة وبلاعوائق ، وكلها سلسلة من الانتصارات ، لوقع الإنسان في المجد الباطل والشعور بالقوة ، بينما العوائق والمحاربات كثيراً ما توقيتنا أمام حقيقة أنفسنا ، فتشعر أنتا ضعفاء ، وأن الأمر ليس سهلاً ، ويحتاج إلى جهد قد يكون فوق مستوىنا ، وهكذا تتضع قلوبنا من الداخل وبخاصة إن فشلنا في بادئ الأمر .

كما فعل أنسيميس وهرب من سيده ، وذهب إلى روما ، و هناك عشر عليه ليس سيده ولارجال القانون بل الله محب البشر الذي لا يشاء موت الخطاطي مثل ما يرجع وتحيا نفسه ، قاده في طريق بولس الرسول الذي أراه حقيقة ذاته وعدم أمانته لسيده ، وقاده إلى التوبة والاعتراف بكل ما فعل وفرح به الأب السماوي ، وبعد أن كان عبداً هارباً أصبح ابناً مباركاً وأخاً محظياً برجوعه إلى سيده فليمون .

بين يديك أيها القارىء العزيز قصة لطيفة شيقة عن أنسيميس العبد والابن ، الوثنى والمسيحي ، الشرير والقديس ، السارق والخادم . أعتقد أنك إذا بدأت قراءتها لن ترك الكتاب حتى تأتى إلى نهايتها كما فعلت أنا وتجد الله معى ، هذا الإله المحب الذى يغير ولا يتغىير الذى قيل عنه «قصبة مرضوضة لا يقصف وفتيلة مدحنة لا يطفىء حتى يخرج الحق إلى النصرة وعلى اسمه يكون رجاء الأمم (مت ١٢ : ٢٠ ، ٢١)» .

شكراً للأب الراهب على قصته الشيقة وسائل الله أن يبارك هذا المجهود ليستفيد منه كل من يقرأه ويتعلم دروساً كثيرة من حياة أنسيميس التائب النافع للخدمة وللقديس بولس الشيخ الأسير السجين وقد رافقه حتى نال أكليل الاستشهاد في صيف سنة ٦٧ م .

بشفاعة أمنا القديسة الطاهرة مريم والقديس العظيم بولس الرسول وتلميذه وابنه أنسيميس الأسقف والشهيد ، وبصلوات أبينا المكرم البابا الأنبا شنودة الثالث .

ونسمة من رب تشملنا جميعاً آمين .

الأنبا متأؤس أسقف دير السريان

١٦ فبراير ٢٠٠٠ م } عيد دخول المسيح الهيكل .
٨ أمشير ١٧١٦ ش }

أنسيميس تلميذ بولس الرسول

رسالة بولس الرسول إلى فليمون

بولس أسيير يسوع المسيح وتيموثاوس الأخ إلى فليمون المحبوب والعامل معنا وإلى أبيه المحبوبة وأرخبس المتاجد معناو إلى الكنيسة التي في بيتك ، نعمة لكم وسلام من الله أبينا والرب يسوع المسيح.

أشكر إلهي كل حين ذاكراً إليك في صلواتي ساماً بمحبتك والإيمان الذي لك نحو الرب يسوع ولجميع القديسين لكي تكون شركه إيمانك فعاله في معرفة كل الصلاح الذي فيكم لأجل المسيح يسوع . لأن لنا فرحاً كثيراً وتعزية بسبب محبتك لأن أحشاء القديسين قد استراحت بك أيها الأخ.

لذلك وإن كان لي بال المسيح ثقة كثيرة أن أمرك بما يليق من أجل المحبة أطلب بالحرى إذ أنا إنسان هكذا نظير بولس الشيف والآن أسيير يسوع المسيح أيضاً أطلب إليك لأجل أبيي أنسيميس الذي ولدته في قيودي الذي كان قبلأ غير نافع لك ولكنه الآن نافع لك ولى الذي رددته فأقبله الذي هو أحشائي الذي كنت أشاء أن أمسكه عندي لكي يخدمنى عوضاً عنك في قيود الإنجيل ولكن بدون رأيك لم أرد أن أفعل شيئاً لكي لا يكون خيرك كأنه على سبيل الاضطرار بل على سبيل الاختيار لأنه ربما لأجل هذا افترق عنك إلى ساعة لكي يكون لك إلى الأبد لا كبعد في ما بعد بل أفضل من عبد، أخاً محبوباً ولا سيما إلى فكم بالحرى إليك في الجسد والرب جميعاً . فإن كنت تحسبنى

إنىأشكر كثيراً كل من له تعب لأجل إخراج هذه السيرة ، وأرجو أن تكون هذه السيرة سبب بركة لكل قارئ بشفاعة أمنا القديسة العذراء مريم والقديس بولس الرسول والقديس أنسيميس وببركة صلوات صاحب القدسية البابا الأنبا شنودة الثالث وشريكه في الخدمة الرسولية أبينا المكرم الأنبا متاؤس أسقف ورئيس دير السريان العamer ولإلهنا كل مجد وكرامة إلى الأبد آمين.

**الراهب
تكلـا السريـانـي**

وسيم الطلعة ، وإن نظر السيد فليمون ورأى نظرة الأسى واليأس على وجه العبد وهو معروض للبيع في سوق النخاسين أشتفق عليه واشتراه . وبعد ذلك بقليل اهتدى فليمون وعائلته إلى المسيحية على يدي بولس الرسول . ولم يكن الرسول زار تلك المدينة الواقعة على نهر الليكس ، ولكن فليمون كان تاجرًا قد انطلق إلى أفسس ، المدينة التجارية في ذلك العصر ، لشراء السلع أو يبعها في سوقها ، وعقد الصفقات التجارية التي تدر عليه ربحاً وثروة . وهناك من يقول أن فليمون وعائلته ذهبوا إلى أفسس لمشاهدة الألعاب التي تقام فيها . وللتفرج على كنوز هيكل الإله أرطاميس الذي يُعد من عجائب الدنيا السبع . وهناك سمعوا بولس يعظ في مدرسة تيرانس ، فتأثروا لدى سماعهم رسالة الإنجيل ، وامتلكت نعمة الله قلوبهم . وقد سرّوا من ظهارة المسيحية ونقاوتها ورجائها وفرحها ، وتحت رعاية أبفراس إذ كان بولس قد وكل ابنه أمر الاهتمام بكنائس كولوسى وما حولها . قبلوا رسالة الإنجيل ، وتعلموا في مياه نهر الليكس . أما أنسيميس فلم يعتمد معهم مع أنه كان قد تعلم الكثير من مبادئ المسيحية في صباح . كانت كولوسى مدينة خاملة ومنحلة ، ليس بها شيء من الملاذات أو الأشياء المثيرة التي رأها أنسيميس في أفسس وثياتира ، فتلق للهروب إلى أفسس حيث يسمع صيحات كهنة الآلهة وليشهد مواكب الآلهة أرطاميس الفخمة ، أو ليشهد بقلب خافق سباق المركبات في الملعب ، والمناظر الجميلة في الملهى العظيم . وفوق ذلك كان يتحرق شوقاً لزيارة روما التي كان قد سمع كثيراً عن مجدها وفخامتها وملذاتها العديدة . ومع أنه لم يكن أكثر من عبد من عبيد فريجية الذين لم

شريكًا فاقبله نظيرى ، ثم إن كان قد ظلمك بشيء أو لك عليه دين ، فأحسب ذلك على . أنا بولس كتبت بيدي . أنا أوفي ، حتى لا أقول لك إنك مديون لي بنفسك أيضًا . نعم أنها الأخ لكن لي فرح بك في الرب . أرج أحشائى في الرب . إذ أنا واثق بإطاعتكم كتبت إليك عالماً أنك تفعل أيضاً أكثر مما أقول . ومع هذا أعدد لى أيضاً منزلًا لأنني أرجو أننى بصلواتكم سأوھب لكم . يسلم عليك أبفراس المسؤول معى في المسيح يسوع ومرقس وأرسترس وديماس ولوقا العاملون معى . نعمة ربنا يسوع المسيح مع روحكم آمين .

إلى فليمون كتبت من رومية على يد أنسيميس الخادم .

طفولته :

إننا لا نعرف الكثير عن طفولته وكل ما نعلمه أنه ولد في مدينة ثياتيرا . وكان أبوه في مركز مرموق لكنه لم يوفق في نفطة على هذا المركز ، ومات أبوه وهنا وصل أنسيميس^(١) إلى حالة تستوجب الرثاء إذ باعه الدائتون عبداً في مصنع الأرجوان الذي كانت ليديا مساهمة فيه ، وهي أول مهندسة على يدي بولس الرسول في فيليبي . وهناك تعلم أنسيميس^(٢) الشيء الكثير عن صناعة الأرجوان وأفضل طريقة لعمل الحلل الأرجوانية وكيفها . ولكنه كان غلاماً متمراًًاً ومهملأً ومحباً للهبوط للملذات . ولما رأى رئيس العمل أنه غير نافع ولا يسهل قيادته ، عرضه للبيع مرة أخرى وقد كان فتى سريع الفهم

(١) أنسيميس كلمة يونانية معناها : النافع أو المفيد للغير .

(٢) أنسيميس : Onesimos

و سرعان ما تبدى المال الذى سرقه بعدما أنفق جانباً منه فى المقامرة ، وجانباً آخر على رفاقه العديمى الاستحقاق الذين تحبوا إليه أو أرعبوه بالاتهام التي وجهاهـا إليه . وقد سُرق باقى المال منه فى أثناء ليلة قضاهـا فى منزل وضيع ، فإذاً أصبح خاوي الوفاض وحزين النفس أسرع إلى المبناء لعلهم بقلونه كعامل فى إحدى السفن مقابل إبحاره إلى إيطاليا .

ولما وصل إلى هناك جعل يستجدى أكـفـاً المحسنين إلى أن أتى إلى روما حيث غاص إلى أعماق البؤس .

أنسيمس فى روما :

لتتجه صوب الحانات القدرة ومساكن أفتر الطبقات بين سكان تلك المدينة الهائلة المتعددة الأجناس ، الذين كانت تعج بهم شوارع مدينة روما . لم يكن أولئك السكان من الشعب الإيطالى ، بل كانوا خليطاً من حثالة كل الأمم ، تدفـقاً منذ أجيال عديدة إلى مدينة روما ، كانوا يتجمعون فى الشوارع الضيقة والأزقة القدرة حيث كانوا يبيعون السمك الملحـ رغـيره من الأطعمة الرخيصة للفقراء .

وكانت المدينة إغريقية كما كانت رومانية . ولكن مع ذلك يكثر فيها النازحون إليها من بلاد الشرق . فقد كان هناك هيكل الإله سيرابيس إله المصريين .

ثم إنك تلقـى بجماعة من السكارى القادمين من فريجية الذين كانوا يحرـون أجسادهم استداراً لعطف المارة ليقدموا إليـهم إحساناً .

تكن لهم أية قيمة . ولكنـه كان قد ولـد حـراً . لقد سيطرت الأهواء على نفسه . حيث رأـي أنـ غيرـة من العـبـيد قد شـقـوا الطريق لأنـفسـهـم ، فـلـمـاـذا لا يـفـعـلـ هو مـثـلـ ماـفـلـوهـ . وحيـثـ أنهـ كانـ قـوـياـ وـماـهـراـ وـوـسـيـماـ جـمـيلـ المنـظـرـ ، فـلـمـاـذا لاـيـقـنـ أنهـ سـيـنـالـ حـظـاـ وـافـراـخـ فيـ العـالـمـ .

أنسيمس يسرق سيده فليمون:

قد أتـهـ الفـرـصـةـ المـغـرـبةـ . فقدـ كانـ فـلـيمـونـ مشـغـولاـ فـيـ صـبـاغـةـ الصـوـفـ التيـ كـانـ أـنـجـحـ عـمـلـ فـيـ كـوـلـوـسـيـ . وـفيـ يـوـمـ بـعـدـمـاـ انـفـضـ سـوقـ لـاـوـدـكـيـةـ سـلـمـتـ إـلـىـ فـلـيمـونـ مـبـالـغـ كـبـيرـةـ مـنـ مـالـ وـضـعـهـاـ مـعـ بـقـيـةـ أـمـوـالـهـ . وـرـأـيـ أـنـسـيـمـسـ مـكـانـ حـفـظـ مـالـ وـفـيـ أـحـدـ الـأـيـامـ إـذـ اـقـتـضـتـ ضـرـورـاتـ الـعـلـمـ أـنـ يـذـهـبـ فـلـيمـونـ إـلـىـ هـيـرـابـولـيسـ لـيـقـضـيـ أـسـبـوعـاـ ، فـسـرـقـ أـنـسـيـمـسـ مـنـ بـيـتـ مـوـلاـهـ الـمـالـ الـذـيـ ظـنـهـ كـافـيـاـ لـيـوـصـلـهـ إـلـىـ رـوـمـاـ ، ثـمـ هـرـبـ إـلـىـ أـفـسـسـ . وـلـدـيـ أـيـامـ كـانـ يـقـضـيـ وـقـتـهـ فـيـ زـيـارـةـ الـأـمـاـكـنـ الـأـثـرـيـةـ وـمـلـاهـيـ الـمـدـيـنـةـ . وـلـكـنـ سـرـعـانـ ماـ وـجـدـ نـفـسـهـ بـيـنـ زـمـرـةـ مـنـ الـرـفـاقـ الـفـاسـدـ الـأـخـلـاقـ الـذـينـ حـاـوـلـواـ أـنـ يـطـوـحـوـهـ فـيـ هـاـوـيـةـ الـرـذـيلـةـ وـالـإـسـرـافـ وـلـكـنـ لـمـ يـكـنـ فـاسـدـاـ لـأـنـهـ عـاـشـ فـيـ بـيـتـ مـسـيـحـيـ . وـسـمـ عـالـمـ مـقـدـسـةـ . وـرـأـيـ الإـيمـانـ يـؤـتـىـ ثـمـارـهـ الـمـبارـكـةـ وـلـئـنـ كـانـ قدـ سـقطـ ، فـقـدـ ظـلـ مـحـفـظـاـ بـعـزـةـ نـفـسـهـ . وـبـعـدـ مـاـ أـشـعـ غـرـورـهـ فـكـرـ فـيـ الـعـودـةـ إـلـىـ سـيـدـهـ وـالـاستـغـفارـ عنـ زـلـتـهـ ، وـلـكـنـهـ خـشـىـ أـنـ يـسـلـمـ سـيـدـهـ لـلـقـضـاءـ لـيـنـالـ جـزاـءـهـ ، فـاـرـتـعـدـ مـنـ هـوـلـ الـقـصـاصـ مـنـ جـلدـ إـلـىـ كـيـ بـالـنـارـ إـلـىـ وضعـ الـأـصـفـادـ فـيـ يـدـيهـ وـرـجـليـهـ ، إـلـىـ الـعـمـلـ فـيـ الـنـاجـمـ أـوـ السـفـنـ ، إـلـىـ الـطـرـحـ فـيـ أـعـماـقـ السـجـنـ - وـنـفـرـتـ طـبـيـعـتـهـ الـحـسـاسـةـ وـانـكـمـشتـ لـمـجـرـدـ التـفـكـيرـ فـيـ تـلـكـ الـتـعـذـيـبـاتـ الـمـرـعـبةـ ، وـبـالـأـكـثـرـ مـنـ الـعـارـ الـذـيـ سـيـجـلـلـهـ حـينـ يـقـفـ أـمـامـ سـيـدـهـ كـمـجـرـمـ هـارـبـ .

وإذ كان يفكر فيما عساه أن يفعل ليخفف عن نفسه آم الجوع رأى تلميذاً صغيراً يدخل دار المحكمة يتبعه أحد عبيده لم يلق إلبيهما بالاً ولكن بعد لحظات أثار فضوله صوت طرقات فأس . ثم رأى ذلك التلميذ يغادر دار المحكمة مسرعاً يتبعه العبد وإذا اتجه صوب ناصية الشارع الذي صدرت منه تلك الضجة وجد نفسه في مواجهة النافذة التي تطل على حوانين صاغة الفضة . وهناك وجد فأساً ملقاء أمامه على الأرض فاللتقطها ووقف يتفرس فيها . وإذا أفرزه صوت وقع أقدام قادمة نحوه ، نظر وإذا رجال الشرطة يسرعون نحوه . وإذا كان لا يعلم ماذا يريدون منه رآهم يقبضون عليه فجأة ويوسعونه ضرباً وإهانة سألهما باليونانية قائلاً «ولكن ما الذي فعلته» فقالوا له (أنقول ما الذي فعلته أيها اللص اللثيم، أتسأل هذا السؤال ونحن قد قبضنا عليك وبينك الفأس تحفر بها في سقف البيت لكى تسرق) . ولم يفهم كلامهم لأنهم كانوا يخاطبونه باللاتينية . فاجتمع حوله جمهور من المتسكعين . فإذا تحدث مع أحدهم باليونانية إجابة بأن أهل تلك الجيرة قد اشتكتوا عليهم بأنهم يسرقون الرصاص من حوانين صاغة الفضة ، ولكنهم لم يفعلوا ذلك ، وقد أثرتهم تلك التهم الكاذبة . ولكن حيث قد قبض عليه وبهذه الفأس فلا بد من أن يؤخذ ليحاكم أمام قاضي المدينة . ومن المرجح أنه سيعامل بمنتهى القسوة . فلو حُكم عليه أن يُجلد ثلاثة جملة سيكون ذلك من حسن حظه . وفي الغالب ربما يكون جبينه بالنار أو يُصلب ليكون عبرة للغير . فجعل ذلك الشاب يبكي ويلوح بيده قائلاً أنه بريء ، ولكن الجمهور كان يقابل صراخه بالاستهزاء . ولكن ما أن سار به رجال الشرطة قليلاً حتى

وقد كانت هناك جنسيات كثيرة من الأسيويين وببلاد الغال والألمان والاسبان ، وفي مكان بعيد في المدينة عبر نهر النيل كان يعيش اليهود . وقد نزح الكثير منهم إلى روما عقب زيارة يومي لمدينة أورشليم . وعنديمات يوليوس قيصر الذي كان شديد العطف عليهم كانوا يصرخون - يا يولولون في حزن عظيم . كانوا كثيرين مع أن غالبيتهم كانوا يمارسون أعمالاً وضيعة فنهم من كانوا يبيعون أعواد النقاب ، ومنهم من كان يصلح أواني الفخار المكسورة ومنهم من كانوا يضربون الرمل ويعروفون البخت ، ومنهم من كانوا يتسلون . ومع ذلك فقد كان أليتورس المثل (وهو يهودي) محباً من نيرون ومن الشعب الروماني . وقد تهود بعض سكان روما . ويشهد يوسيفوس المؤرخ اليهودي من القرن الأول المسيحي ، أن بعض الرومان استعنوا عن العمل يوم السبت ، وصاموا وصلوا ودرسووا الشرعية الموسوية ، وأرسلوا تقدمات إلى الهيكل في أورشليم .

كانت شوارع روما تغض بالمسؤولين والمرضى بأمراض مستعصية الذين كانوا يقتاتون بما يجدون به عليهم بعض الأسر الرومانية الموسرة . ولكن كان هناك شاب من فريجية يتسع هنا وهناك حول بناء المحكمة وقد خلت المحكمة من الناس لأن الجميع ذهبوا إلى بيتهم في ساعة القليلة ، وقد ارتسمت على مُحيَا علامات الشقاء . كان شاحب الوجه نحيل الجسم كما لو أن المصائب كلها قد اصطدمت عليه . كان رداوته مزقاً وبالياً وبدا عليه بأنه غريب بلا مأوى ولا صديق يحنوا عليه ، ووحيد بين ملايين الناس الذين تغض بهم روما قصبة العالم .

الفور هي نائنا فلقد سقطت مثاً من ذليل) وهنا قال بوديس أن المسألة في غاية الوضوح وسأكون أنا الشاهد. أما الآن فيمكّنكم إطلاق سراح هذا الشاب، وبغضّ على هذا التلميذ السارق، ولكن أباه تمكّن من إطلاق سراحه لقاء رشوة كبيرة دفعها سرّاً لرجال الشرطة ولصاغة الفضة. وهنا تفرق الجمّع. أما بوديس ويطس بدون أن يتّظروا النتيجة ساراً في طريقهما إلى قصر الامبراطور.

و فيما هما سائران سمعاً وقع أقدام خلفهما. فلما التفتا إلى الوراء رأياً الشاب الذي أنقذاه يسير في أثرهما، فسألته بوديس قائلاً «أما يكفي أنني أنقذتك من كربك» فقال الشاب متذللاً «إنني يا سيدي واهن القوى وجائع وغيرب» فهمس تيطس في أذن صديقه قائلاً - آنه بحاجة إلى مال - فأخرج ديناراً وناوله إيه. ولكن هذا الشاب جثا على ركبتيه ولمس هدب ثوب بوديس وقبله ثم صرخ قائلاً (آه يا سيدي خذني إليك إلى بيتك فأنا أستطيع القيام بأى عمل) فسألته قائلًا من أنت فقال اسمى أسيميس فقال له هذا اسم جميل وذو فأل حسن - ماذا أنت، يلوح لي أنك عبد، ولكن ألت عبداً هارباً؟ وهنا نطق أسيميس بالكذب إذ قال (كلا يا سيدي فقد عشت في كولوسى، ومن هناك اختطفني أحد تجار الرقيق ولكن هربت منه، فسألته فهل تريد العودة إلى كولوسى ، فأجاب كلا يا سيدي ، فقد تركت يتيمًا وأريد أن أكسب عيشى في هذه المدينة) فقال تيطس لصديقه (ضمة إلى بيتك فإن عنده مكان لهذا العبد وأنى لعجب بمنظاته) وهنا تردد بوديس بعض الوقت ، لأن أهل فيريجية كانت لهم سمعة غير مستحبة ، ولأنه لم يكن معتمداً على ضرب عبيده لتقويهـ ولكن العبد لم يسمعهما يتحاوران

التحق بهم تيطس وبوديس بالقرب من بيته . فإذا رأوا قائد المائة في الحرس الامبراطوري ويطس الذي علموا أنه ابن فسبازيان القائد الباسل ابتعد الناس ليفسحوا لهم الطريق ، ولاحظ تيطس أن ذلك الشاب في كرب عظيم ، فدفعه إشفاقه إلى أن يسأل رجال الشرطة عن سبب قبضهم عليه . فأخبروه بأنهم وجوده ممسكاً بالفأس ، وقرروا أنه هو الذي يسرق الرصاص . فسأل الشاب «بماذا تدافع عن نفسك» فأجاب قائلاً إنّي برىء فهذه الفأس ليست فأسى ، ولكنني وجدتها ملقة في الشارع فأمسكت بها أ瘋حتها . وإذا بهؤلاء الرجال يقبضون علىـ و لا بد أن تكون هذه الفأس ملك التلميذ الذي رأيته يسرع بالخروج من دار المحكمة يتبعه خادمه . وهنا تبادل بوديس ويطس النظرات لأنهما حقاً رأياً ذلك التلميذ وخادمه يركضان . إذن فذلك التلميذ هو المجرم الحقيقي . وإذا سمع صاغة الفضة يستتجدون برجال الشرطة أسرع بالهروب . وقد رأه بوديس يقف أمام منزل أحد الفرسان في شارع آخر . ورأاه يصعد السلم بسرعة عظيمة . فقال بوديس لرجال الشرطة «همموا ورائي فأريكم المجرم الحقيقي».

إن هذا الشاب برىء و إن كانت الأقدار تعاكسه . فتقدّم يتبعه ذلك الجمّع وهو يدمدون لحرمانهم من متعة مشاهدة المحاكمة حتى أتى بهم بوديس إلى بيت الفارس . وكان العبد الصغير يلعب تحت الرواق . قال رئيس الشرطة لمن يتبعونه (تراجعوا ، فسأذهب أنا وقائد المائة لاستجواب بعض سكان هذا البيت) سأله بوديس ذلك العبد الصغير قائلاً (هل تعرف من هذه الفأس يا غلام «فلكونه صغيراً لم يكن يدرك حرج موقفه فقال علىـ

ولكن العبد أنسيميس أحاب هذه الألعاب بغواية بعض العبيد له (فالمعشرات الرديئة تفسد الأخلاق الجيدة) ولكن جونيا ونيريوس وآخرين منعوه ولم يقنع بذلك . وكان بذهابه إلى المصارعات قد نسى ما تعلمه في بيت فلييمون من المبادئ المسيحية وهي الفضيلة والرق، وانفعل بما يحدث هناك من سفك الدماء للمصارعين أمام الله مولّك.

و كان عبيد بوديس أكثر إخلاصاً وأمانة من طائفة العبيد الذين كانوا يعيشون في بيوت أرستقراطية ، ولذلك فلم تكن له حاجة إلى أن يتغذى أى احتياطيات يشق بها من سلامة أمواله ، فكان الجانب الأكبر منها مودعاً في بنك، أما الباقى فكان فى صندوق تحت أشراف نيريوس لأنّه كان مسيحيّاً، وكان أنسيميس يحب جونيا ابنته وكان يشعر بأنّها تهتم به. وكان أنسيميس يعلم مكان أموال سيدة ووضع فى قلبه يوماً ما أن يمتلكه (أى يسرقه).

أنسيميس يحاول سرقة بوديس

وجاءت الفرصة الملائمة حينما خرج أغلب سكان البيت لحضور حفلة عيد ولكن أنسيميس تغيب عن الحفلة بحجة مرضه ، وكان البيت ساكناً في وقت القيلولة فتسدل أنسيميس إلى الغرفة التي كان نيريوس نائماً فيها وبكل خفة سرق منه المفتاح المطلوب . ثم ذهب إلى غرفة بوديس الخاصة ، وكان يعلم أنه يباشر عمله في قصر الإمبراطور في تلك الساعة، ثم فتح الصندوق الذي به المال ، وإذا به يسمع صوتاً وقع خطوات آتية فارتجف إذن فقد كان هناك من يراقبه ، فلقد كان نيريوس أميناً لسيده ، وعالماً بخيانته العبيد، فلم يترك أموال سيده بغير حراسة ، وقد أوصى ابنته بأن تكون ساهرة

في هذا الشأن إذ كانا يتكلمان بصوت منخفض . لاحظ أنسيميس تردد بوديس فانحنى وبسرعة رسم صورة سمسكة^(١) على الأرض وقد علم أنه إذا اتفق أن يكون بوديس مسيحياً فسيحسن إليه . فقال له (هلم ورائي، أن بيتي صغير ومتواضع لكنني خسرت أحد عبيدي الذي مات متاثراً بالحمى ، وساخاطب رئيس خدمي بشأنك . وربما إذا سمعنا عنك شيئاً جديداً فستأخذ مكان العبد الذي مات) عندما وصلوا إلى البيت أرسل بوديس إلى رئيس الخدم وأوصاه بأنسيميس الخادم الجديد.

وكان نيريوس رئيس الخدم في بيت بوديس راغباً في استخدام ذلك الشاب الذي : ن أن يكون عبداً نافعاً ، وفي ذلك البيت وجد الرفق والسعادة من جديد . نعم إن بوديس لم يكن قد جاهر بعد بmessiahته ، ولكن كثيرين من عبيده كانوا مسيحيين ، كما عرف أنسيميس الذي علمه الاختبار أنه طالما كان بين المسيحيين فهو بآمن من التجارب والشقاء . وقد استهواه مدينة روما المزدحمة بالسكان الراخراخ بالحركة والنشاط واعتبرها أفضل من كولولسي بما لا يقاس.

جولات أنسيميس بين الملاهي والمصارعات

كان بوديس ينهى عبيد عن الذهاب إلى الملهى عند عرض الألعاب ، التي كانت تنحدر بالإنسان إلى منزلة الحيوان وتقتضي على ما فيه من شفقة ، فكانت الألعاب قاسية وكان في التمثيل الهزلى الذى للأمور المخزية جداً ،

(١) في أيام الاضطهاد كان المسيحيون يتعارفون على بعضهم برسم السمسكة أو بكتابة اسمها (أختوس) ΣΥΘΙX وهذه الحروف هي اختزال اسم المسيح وصفاته وتنسق مع (يسوع المسيح ابن الله مخلص).

فأصرخ وأتلوي من هول الألم ، أم هل تحتملين رؤيتي معلقاً على الصليب والجوارح تنهش لحمي ، فقالت له أن بوديس عادل ومشفق وهو لا يوقع على عبيده عقوبات مرعبة كهذه . فقال لها بحزن (كلا ويكتفى أن أرسل إلى سجن مظلم وأشتغل فيه شغلاً مضيناً ، أو يكتفى أن يُكوى جبيني بثلاث حروف من نار وأخرج للعالم مجللاً بالعار لأموت جوحاً) فقالت له «ليتنى أستطيع الكتمان يا أَسيمِس» ثم توقفت عن الكلام وهى مرتعبة إذ لم تكن تعلم أن أَسيمِس كان قد سمع شيئاً من التعاليم المسيحية ، فصاح يقول (أنك مسيحية يا جونيا وكذلك أنا) ثم رسم على الأرض صورة السمكة التى ترمز إلى اسم السيد المسيح فقالت جونيا (واأسفاه أنك لا يمكن أن تكون مسيحياً ، بلوحلى أنك سمعت عن المسيح ولكن المسيحيين لا يمكن أن يسرقوا أو يعيشوا كما تعيش ، إن المسيحيين أبرياء ومستقيمون) فقال لها إذن فائت سفينتين أمرى فلشن فعلتى فستكونين تحت سلطانى فالمسيحية خرافية غريبة . إن حاكم المدينة... فقاطعته بقولها «يا لك من نذل سافل وأكثر نذالة مما كنت أظن لا تعلم؟ وهذا أضاء وجهها بنور عظيم أكسبها جمالاً سماوياً لا تعلم أن المسيحي يستطيع احتمال الآلام وأنه حتى الجارية المسيحية لاتخشى الموت ، لم تكن قط جميلة في نظره ، كمنظرها كما كانت في تلك الساعة ، ولكن منظر المصارعين الذين كانوا يمزقون بعضهم بعضاً جعله متمنناً على القسوة وسفك الدماء وملأه أثانية واستهثاراً بالحياة البشرية ، وقد خطر له خاطر مفاجيء مرعب لماذا لا يتخلص من شاهد الجريمة الوحيد ، فسألها بوحشية (إذن فستفينين أمرى وأؤخذ لتوضع الأصفاد فى يدى ورجلى ويكون جبيني

دائماً فى الوقت الذى يسهل فيه ارتكاب السرقة . أما جونيا التي كانت فى قسم الجواري فى الجانب الآخر من البيت فقد سمعت شخصاً يتحرك فى المرمى فأخفت نفسها خلف أحد الأعمدة وإذا بها ترى أحد العبيد يتسلل إلى غرفة أبيها فتبعته بخفة وقد غمرها الحزى والحزن وهى ترى الشاب الذى أحبه يسرق سيده ، وتبعته إلى المدخل ورأته يفتح الصندوق ، فشملها الرعب وهى تفك فى القصاص الذى سيحل به جراء خيانته ، وقد يكون الصليب وهو جزء تلك الجريمة التى كان موشاكاً على ارتكابها . كانت تريد أن توقفه عن ارتكاب جريمه ولكتها لم تجرؤ على دخول الغرفة ، أما هو فكان متعدد لسبب ما ، كان متعدد إذ عاد إلى ذاكرته كلام أفراس الذى نقله عن بولس الطرسوسي ، وقد قال له الصوت المنخفض الخفيف (لا يسرق السارق فى ما بعد بل بالحرى يتبع عاماً الصالح بيديه ليكون له أن يعطي من له احتياج) {آف : ٤ : ٢٨}. كان يحاول التغلب على روح الخوف وهو يفكر فى الألعاب والتسليات والمقامرات وإذا بالرعب يسرى فى نفسه وهو يسمع صوتاً منخفضاً يناديه قائلاً (أَسيمِس) فالافتقت حوله وبسرعة أُغلق الصندوق وخرج إلى المرمى فتاة منحنية ، فلما رفعت رأسها نادها قائلاً (جونيا) فوضعت إصبعها على فمها تحذر من الكلام ثم اختفت . وهربت إلى آخر حدود المنزل تتبعها إلى هناك ، ثم جئى على ركبتيه أمامها قائلاً لها (هل سفينتين سرى يا جونيا) فوقفت الفتاة مرتعبة وقد افهمر وجهها وقالت إنى لا أخفى عن أبي شيئاً يا أَسيمِس فقال يا جونيا هل ستخبرين أبيك الذى قد يسخبني أمام بوديس ، فهل تريدين أن أجلد للموت

أباها ، وهل هناك بيت في روما خال من اللصوص يا أبي رجالاً كانوا أم نساء ، يسرقون ويقتلون ، وهل هو أرداً من كثيرين من تغصن بهم السجون أو من يُصلبون على صليب أو لم يخطأ كلنا ، أو لم يقل لنا المسيح (فأنه إن غفرتم للناس زلاتهم يغفر لكم أبوكم السماوي) (مت ٦ : ١٤) وهذا صدرت من أنسيميس آفة مكبوتة . وبعد ذلك قال نيريروس لست أدرى ماذا أفعل ، عودي الآن إلى غرفتك يا ابنتي .

وأقام نيريروس الشاب عن الأرض وهو في أشد حالات الغضب حتى جعل يضربه بعنف وشده قبل ما دخله في الغرفة المخصصة له ثم نادى اثنين من العبيد المسيحيين الذين كان يثق فيهم ثقة كاملة وهما استاخيس وإمبيلاس وأمرهما بتقييد يدي أنسيميس ورجليه ومرافقته حتى ينظروا في أمره .

أنسيموس داخل السجن

وقد أبلغ نيريروس مولاه بوديس عن محاولة سرقة أمواله ، فتأسف بوديس على ما سمع لأنه كان يحب أنسيميس ، وحكم عليه بالجلد ، وكان طعامه هو الخبر والماء فقط ، طالما كان موئلاً في سجنه وقد زاره بوديس وحاول أن يقوده إلى التوبة والرجولة ، وأفلح نيريروس في إلهاب قلبه بnar إيمانه القديم ، وأيضاً زارته جونينا في سجنه وحدثه بتشجيع وملاطفته بالرجاء ، وهذه الأقوال أعطته دفعة أن يسير في طريق أفضل ، ولما انتهت مدة العقوبة وعُفى عنه ، عاد إلى مزاولة واجباته ، وبدأ بالسير نحو أعمال وأعمال أفضل .

بالنار أو الجلد أو أصلب) فأختفت وجهها بين يديها وطفقت تبكي ، ثم قالت (على أن أقوم بواجبي ولا بد أن أخبر أبي) ففي برقة حافظة كان أنسيميس في قبضة إبليس فأخرج من تحت ثيابه خنجراً كان قد أخفاه وصرخ قائلاً (إذن فستموتني) ثم أمسك بها بيده اليسرى بينما لمع النصل في يده اليمنى . ولكن الفتاة لم تتحرك ، وقد أيقظت صرخه من في البيت ، وإذا بيد تقض على كتفه بعنف وإذا بالخنجر يتزع من يده وضرر ضربة ألقته على الأرض ، وجثمت على صدره قدم قوية لتسحقه فقالت جونينا في ضراعة (ليتك تبقي على حياته يا أبي) . ظل نيريروس ضاغطاً بقدمه على صدر الشاب والخنجر لا يزال في يده وكانت عيناه تتقدان بنار الغضب ، ولكنه لم يكن يعرف تفسيراً لما قد رأه فقال لابنته أوضحتي كل شيء يا جونينا ، كيف وقفتي هنا مع أنسيميس وحدكما في مشي البستان في ساعة القيلولة هذه ، وكيف أغواك وأتي بك إلى هنا ، وهل تحرأ على إهانتك ، فإذا كان أنسيميس كالملصوق من هول سقطته ، أخبرت جونينا أباها بكل ما قد حدث ، فرك نيريروس الشاب بقدمه ثم قال (كنت أظنه مسيحياً متحفياً وأنه سيكون يوماً أهلاً للزواج من ابنتي جونينا ، ومع ذلك فهو لص وكان موشكًا على ارتکاب جريمة قتل ...) كل هذا نتج من إيماء فريجبي غريب ، فني بيت كل أهله أمناء ، فقالت له جونينا أغر لـه يا أبي ، ألم يغفر رب لنا ، فقال (إنى مستعد أن أغفر لـه ما أشاء به إلى بتهديده لحياة ابنتي التي أح悲ها إذا كان يبدى ندمه على ما فعل ولكن كيف لا أخبر بوديس بما حدث وكيف أبقى هذا الشاب في البيت بعد اليوم) . وفي ثورة غضبه ركل الشاب بقدمه مرة أخرى ، فقالت جونينا تسأل

أنسيمس في قصر نيرون

ستحاول أن تقدم له المساعدة بقدر استطاعتها وقدمت له كيساً من النقود ، ولم تستطع أن تتحدث إليه أكثر من ذلك لأن أعين مسئولي القصر كانت عليهما.

أنسيمس والمصارعون

أرسل أنسيمس إلى مدرسة المصارعين وُعيّن من قبل مدرب فوي ومعرفه قوله تاريخ وهو رولوتوس وهو أقسى رجل في روما ، وتدرّب أنسيمس على رمي الشباك وتعرّف على كثيرين من كانوا بالمدرسة ، وجاء يوم المصارعة وكان أنسيمس قد أظهر أثناء التدريب شجاعة ومهارة فائقة عن باقي رفقاء ، وجاء يوم حيث استعد المصارعون ووقد الجمّهور الكثير لكي يشاهدوها أمنع المصارعات الرومانية وجاء دور أنسيمس ولف شبكته وأمسك رمحه وخجّره وأسرع وطعن أحد خصمه ، ووثب على الآخر وقتلـه ، أما الثالث فإنه جرّح من قبل وكان ضعيفاً فطلب الرحمة من أنسيمس ، بينما كان المتفرّز . زن يهتفون لكي يقتله فتركه أنسيمس رغم الهاتف فطعنه ذلك الضعيف من الخلف وسقط أنسيمس مدرجاً في دماءه . ثم أتى رجل ضخم عريض المكفين يحمل جثث القتلى ومن بينهم أنسيمس ، وكانت سايرا خادمة في بيت بوديس وعلى معرفة بذلك الرجل الضخم فتعرّفت على جثة أنسيمس بين القتلى ولاحظت أن قلبه ما زال ينبض وبه رقم الحياة . فانطلقت سايرا سائرة مع الريح حيث وصلت إلى جونيا وأخبرتها بما لقى أنسيمس في المصارعة ، فأتت معها لكي تخرّجـانه ، فأعطـنا حامل القتلى قطعة نقود ذهبية وحملـاه إلى بيت (لينس) ^(١) القريب من ذلك المكان ، وطلبت جونيا منه

(١) لينس هو أول أسفـق لمدينة روما

و بعد فترة ليست بكثيرة نُقل بوديس من عملـه ، وحصل على ترقـية جديدة ، فترك عملـه في قصر نيرون ، فأرسل عـبدـه أنسيـمس لـكي يـأتـيـ بـما يـخصـهـ من غـرفـهـ بالـقـصـرـ من كـتبـهـ الـخـاصـةـ وـأـسـلـاحـهـ فـذـهـبـ وـأـطـاعـ أـمـرـ سـيـدهـ . ولكنـ وهوـ بـقـصـرـ نـيرـونـ ، أـعـجـبـ بـهـ مـسـئـولـ القـصـرـ لـمـاـ سـمعـ عـنـ شـجـاعـةـ وـنـشـاطـ فـيـ خـدـمـةـ سـيـدـهـ بـوـدـيـسـ . فـعـلـمـ بـوـدـيـسـ أـنـ مـسـئـولـ القـصـرـ أـعـجـبـ بـأـنـسـيمـسـ فـتـرـكـهـ لـهـمـ يـخـدـمـ فـيـ قـصـرـ الإـمـبرـاطـورـ . فـأـعـجـبـ أـنـسـيمـسـ بـالـعـملـ فـيـ قـصـرـ نـيرـونـ وـلـكـنـ حـالـتـهـ اـزـدـادـتـ سـوءـاـ . وـذـاتـ يـوـمـ مـرـ نـيرـونـ مـنـ دـهـليـزـ القـصـرـ ، وـوـقـعـتـ عـيـنـهـ عـلـىـ العـبـدـ الـجـدـيدـ الـذـيـ سـمعـ عـنـهـ كـثـيرـاـ مـنـ مـسـئـولـ القـصـرـ ، وـحـدـقـ فـيـ طـوـيلـاـ وـرـأـيـ عـضـلـاتـهـ الـمـفـتوـلـةـ ، فـأـمـرـ مـسـئـولـ القـصـرـ أـنـ يـرـسـلـهـ إـلـىـ مـدـرـسـةـ الـمـصـارـعـينـ ، فـلـمـ سـمعـ أـنـسـيمـسـ هـذـاـ غـاصـ قـلـبـهـ فـيـ دـاخـلـهـ ، وـكـانـ نـيرـونـ مـشـغـوفـاـ بـمـشـاهـدـةـ الـمـصـارـعـينـ وـسـفـكـ الدـمـاءـ وـعـرـضـ الـوـحـوشـ ...

أنسيمس وأفيكي

وـبـيـنـماـ كـانـ يـخـدـمـ أـنـسـيمـسـ فـيـ قـصـرـ نـيرـونـ ، تـعـرـفـ عـلـىـ أـفـيـكـيـ اـبـنـةـ خـالـتـهـ وـكـانـ وـصـيـفـةـ الإـمـبرـاطـورـةـ أوـكـافـياـ ، وـكـانـ نـيرـونـ يـقـدـرـهـاـ كـثـيرـاـ لـأـنـهـ كـانـ فـائـقـةـ الـجـمـالـ ، وـكـانـاـ لـمـ يـتـقـابـلـاـ مـنـذـ اـثـنـيـ عـشـرـ سـنةـ حـيـثـ كـانـ يـعـيـشـانـ فـيـ ثـيـاتـيـرـاـ وـكـانـتـ هـىـ بـالـقـصـرـ لـهـ شـأـنـ كـبـيرـ ، لـذـلـكـ كـانـتـ توـصـيـ مـسـئـولـ القـصـرـ عـلـيـهـ . وـلـكـنـ حـيـنـمـاعـلـمـتـ أـنـ نـيرـونـ أـرـسـلـ أـنـسـيمـسـ إـلـىـ مـدـرـسـةـ الـمـصـارـعـينـ أـوـضـحـتـ لـهـ عـدـمـ قـدـرـتـهـ عـلـىـ مـسـاعـدـتـهـ ، لـكـنـ وـعـدـتـهـ إـنـهـاـ

كان يسمع تلك الكلمات المتقدة التي كانت تتدفق من فم بولس وهو يعلم الكثيرين.

فكان أول ما خطر له أن ينطرح عند قدمي الرسول ، لكنه سمع قائد المئة يقول ، أنه قد طال بهم الوقوف ، وعليه أن يسير بالأسرى متقدماً في طريقه، فأصدر أمره (السير إلى الأمام أيها الجنود) وهنا أخفى أنسيمس نفسه.

إيمان زوجة نيرون

كان كثيرون من في قصر نيرون يعتقدون المسيحية ، لكن في خفاء
تام، وكان من بينهم قواد ومسؤولين كبار في الإمبراطورية، ومن بينهم أكنافيا
زوجة نيرون ، ولم يمهد عدو الخير كلمة الله لتنشر بين هؤلاء وتلك ، فعلم
نيرون بن آمنوا باليسعى وصلبه وقيامته ، ومنهم زوجته ، فنفتها إلى جزيرة ..
ولكن الله أرسل لها معينة لكي تقويها في نفيها ، كما أعاد من قبل إيليا في
أيام الحجوم بواسطة أرملة صرفه صيدا .. فكانت بوميانا تزورها وتسد لها
احتياجاتها . وكان في ذلك الوقت أنسيميس يعمل عند بوميانا خادماً ،
وذلك بتوسط تيطس لديها ، ومن كرم بوميانا وحبها وتقديرها لأوكنافيا
امرأة نيرون، وإيمانها القوى وتمسكها باليسعى، تركت لها أنسيميس ليخدمها
ويساندها في مغادرتها.

أنسيمس ويداية تويته

و كانت كلمة الله ، المكتوبة شحيحة في ذلك الحين ، لأنه لم يكتب بعد الانجيل أو رسائل بولس الرسول وإن كتبت بعض منها فلم تكن تجمعت في مجلد واحد ، فكان لدى المؤمنين القادرين بعض الفصول من الأنجليل

المساعدة فلم يتردد في ذلك ، فضmed جراحاته وصب عليها خمراً وزيناً ، وبعد أسبوع طولية كان أنسى مس بين الحياة والموت ، ولكنه تعافي ببطء وبدأ يسترد صحته مرة أخرى .

لقاء بولس الأسير مع أنسيموس

بعد أن تعافى أنسيميس وشفى من جراحاته بدأ يسير في طرقات المدينة العظيمة روما ، لكنه يشاهد ما في الأسواق من بائعين وجائلين وبطقات المجتمع المختلفة ، وتقابل هناك مع تيطس الشخص الذي يحمل له احتراماً شديداً ، لأنه توسط له من قبل ليعمل عند بوديس ، ووقفا معاً يتحاوران عمّا مضى ، ووسط الحديث من قائد مئة يسير ومعه عشرة جنود موثقين بسلالل لأيدي بعض الأسرى ، وكان في وسطهم شخص بين هؤلاء الأسرى يلفت انتباه الشعب من الصناع والبائعين (مسيحيين) - فتساءل تيطس عنمن يحيط الناس بالأسير الأول ، فقال له قائد المئة إنه يهودي متخصص قصير القامة قليلاً ، وظهر من إشاراته أنه عصبي المزاج وأنه قد علا الشيب رأسه مما لاقاه من أهواه ، وقد رسمت الهموم والمخاطر تجاعيدها على جبهته . وغاصت وجنتاه ، وأما عيناه فمع كونهما صافيتين فقد كانتا مشوهةتين من أثر الرمد ، وحينما كان يثبت نظره على أحد رفقاء كان يشع من عينيه نور سماوى . فسألته تيطس وما اسمه ، فقال له (يُدعى بولس الطرسوسى) وواضح أنه من قواد المسيحيين . فتذكر أنسيميس أنه تقابل يوماً مالعاصم هذا الرجل ، بل أنَّ اسم بولس الذى ذكره قائد المئة وقع على أدنى أنسيميس من ثقل الذكريات التى جالت فى خاطره ، حيث أنه تقابل مع بولس ، حينما كان عبداً عند فليمون ، بينما اصطحبه وهو عبد صغير حيث

ولم من هناك خدمة يشتمل منها الجنود كخدمة حراسة الأسرى هذه. فكل جندي يتولى حراسة سجين كان يعتبر نفسه سجينًا هو الآخر. والحارس الذي كان يوثق إلى سجين يهودي كان يعتبر ذلك إذلاً لا يحتمل. إذا اتفق أن كان الأسير أميراً وسيما ليس له وطن خاص كان ذلك كفياً بأن يخفف من شدة وطأة الألم والملل عن الحارس.

ولم يوجد واحد من رجال الحرمس إلا كان يئن ويتأوه حين يعلم أن قائد المثلة قد وكل إليه حراسة يهودي آخر هو في الهيئة ذليل ومفضي للجسم من الأسفار والصعوبات والمتاعب. ولكن الجنود الذين أصابتهم القرعة أن يوثقوا إلى هذا الأسير لأول مرة بشروا عنه للحال أخباراً حسنة، وأخبروا زملائهم أنه مع كونه ليس يهودياً فقط بل مسيحياً فقد كان رجلاً معقولاً جداً وحربياً جداً ومشفقاً جداً لتخفيض وطأة السامة عن حراستهم له. حتى أنهم حسبوه تمنعاً وفرحاً أن تأتي نوبتهم لحراسته، لا تعب ولا مذلة، فقد كان يتحدث معهم بكل حرية عن المواقف الأممية. وكان يصغى باهتمام إلى كل ما كانوا يحدثونه به، عن روما وحوادثها وكوارثها ومحاولاتها وغزوتها. وقرارات الامبراطور، وتراثات الأسرة المالكة. وكان البعض يهمسون قائلين إن كل ما قاله كان لائقاً وجميلاً. وقد لاحظ الضباط أن كل من كانت لهم به صلة تحسنت أخلاقهم. كما لوحظ أن اليهودي كانوا يغضونه كرجل مرتد. بل أن زواره من اليهود المتنصرين كانوا قليلين جداً وكان هنالك بعض أصدقائه المسيحيين الذين كانوا يزورونه، ومنهم من كانوا يلازمونه وقتاً

المقدسة ... فكانت لدى أوكتافيا جزء من إنجيل معلمنا لوقا البشير، فكانت تسمع هذا الجزء من خادمها الجديد أنسيميس وحينما كان يأتي المساء تدعوا الامبراطورة جواريها ويقرأ لهم أنسيميس أجزاء من إنجيل معلمنا لوقا البشير، وبالخصوص الرسائل التي تعزيزهم كمثل الابن الصالح، الذي كان بمثابة دعوة من الله شخصية أنسيميس لكي يرجع من الكورة البعيدة حيث خربنوب الخنازير، وعند قراءتها كان صوته يختنق بالبكاء وحينما يصل إلى القول (أقوم أذهب إلى أبي) (لو ١٥ : ١٨) كان يتوقف عن القراءة لأنفعاله الشديد بهذه الآية ومتلئ عيناه دموعاً، ومن هنا بدأ القلب القاسي الغائر فيه الخطية يتنقى بكل كلمة يقرأها تمس قلبه وتنقيه وكانت هذه بداية التوبة الحقيقية لذلك العبد الهاوب أنسيميس.

رسولاً في السجن

كانت هناك بقعة في روما هادئة في وسط الثورات، وسعيدة في غمرة المصائب، مع أن الرومان كانوا يعتبرونها آخر مكان تخل فيه السعادة تلك هي الغرفة الضيقة التي كان بولس الطرسوسي سجينًا فيها.

عندما كان بوروس قائد الحرمس على قيد الحياة كان بولس يشعر بعض الراحة بقدر ما تسمح صرامة النظام الروماني. فقد استأجر بيتاً لنفسه ولم يكن يمنع أحد من أصدقائه من زيارته أو خدمته. وقد كان مضطراً للخضوع للحالة غير المحتملة التي قضت بأن يوثق ليلاً ونهاراً في سلسلة إلى جندي روماني. ولكن قائد المثلة ورفاقه تكلموا عنه حسناً ومدحوه حتى حرص المسؤولون على أن يكلفو بحراسته قائد من اشتهروا بالرفق والعطف وأن يكون الجنود الذين يتناوبون على حراسته من ذوى الأخلاق المرضية.

للمهتددين ، وما كان يقرأه لوقا على مسامعه من بشارته . وقد تأثر كثيرون منهم تأثيراً عميقاً بالمبادئ الجديدة المقدسة التي أعلنت لهم ، حتى اهتدى بعضهم إلى المسيحية واعتمدوا ، ووجدوا أن ذلك المسكن الذي سكن فيه ، كان الطريق المؤدي إلى فردوس الله . فمتي كان الحارس مسيحياً وكان عند بولس أى زائر ، فإن الحديث بينهما يكون حديثاً حراً بلا تحفظ . وهذا هو الذي حدث حين أوثق الحارس سلسوس مع بولس ، فقد كان فرحة عظيماً جداً بحيث أنه أعلن لزملائه ، أنه مستعد لأن يحل في محل أى حارس آخر بطلب الإعفاء من الحراسة فضلاً عن دوره هو .

و في أحد الأيام جاءت لزيارة بولس السيدة بومبونيا زوجة عولس بلويوس ، ثم أخبرت الرسول أنها مسيحية وقد تعمدت منذ أيام بعيد ، وأنها قرأت رسالته إلى رومية وغيرها من الرسائل ، وأنها أتت إليه الآن تستشيره في بعض الأمور ، وكان لوقا الطبيب مع الرسول ثم بعدما تحدث إليه شكرت البشير وطلبت بركة الرسول ثم عادت إلى بيتها .
أنسيمس يير . في التحدث مع بولس الرسول

لم تكن بومبونيا غراسينا سوى واحدة من كثيرين ، من أئاهم بولس الطرسوسي السجين بالفرح والعزاء . لقد كان هنالك عنصر مزدوج في السعادة التي تسامت حتى بلغت حد التهليل والهتف الذي يسمع من بين سطور رسالته التي كتبها من رومية إلى أهل فيليبي فمن الناحية الواحدة شعر بولس أنه من خلال سجنه وقيوده ابشق النور ، حتى أن نعمة الله صارت

طويلاً مثل تيموثاوس تلميذه الشاب . وفي الحق أن هذا الأسير لم يكن يشعر بالسعادة في أي وقت مضى مما يشعر الآن وهو في سجنه . فلقد تحرر الآن من القلق والمقاومات المرة . وما عادت تزعجه المخاطر المخيفة التي كانت تهاجم حياته . كان يعلم أنه موجود في المكان الذي قصد الله أن يكون فيه ، وأنه كان سفيراً في سلاسل كما قال لبعض أصدقائه مداعباً . كان العدل يقتضي أن يحاكم سريعاً ، حيث أنه كان قد سجن ستين كاميلتين في قيصرية بموجب تهمة لا أساس لها ، ولكن عندما غرفت السفينة ، ضاعت الوثائق التي كانت قد أرسلها فيلكس وفستوس . فلما جاء بوثائق جديدة كان نيرون يؤخر المحاكمة شهرآً بعد شهر . وهكذا ظل بولس في السجن رسولآً لرجال الحرس ولكثيرين من الرومان وكان لينس وغيره من المسيحيين الرومان يزورونه في مسكنه ويظهرون له كل الحب . وكان لوقا يلازمه دائمآً ويستشيره في تفصيات بشارته ويسهر على صحته . وكان بولس الرسول على اتصال بأصدقائه وبالمهتدين في الكنائس التي أسسها . ثم أن تيموثاوس الذي كان ابنه في الإيمان عامله ، بأعظم رقة ومحبة كما يعامل ابن آباء . وقد جاء تيخيكس وابفراس من آسيا وقصاصاً عليه أخبار كنيسة أفسس ووادي نهر الليكوس . أما مرقس ابن أخت زميله القديم بربانيا ، فقد أتاه بأخبار سارة عن بطرس وعن كنيسة أورشليم وعن أسفاره في بلاد كثيرة . أما ابفرودتيس فقد خدم حاجات الرسول ، بأن أتاه ببعض المال من أصحابه الأسيخياء في فيليبي . وكان الجنود الذين يحرسونه ، يستمعون لبعض ما جاء في رسائله

فريجyi ولص يستحق أن يصلب . و أرداً من ذلك فقد أنكرت الإيمان وارتكتب شهوراً كثيرة . فهل بقى للإنسان شقى مثل غفران أو رجاء؟ ، فقال الرسول «ثُقْ يَا بَنِي أَنَّهُ يَوْجُدُ غَفْرَانٌ وَ رَجَاءٌ لِكُلِّ مَنْ يَطْلُبُهُمَا فَالشَّابُ : وَلَكُنْكَ لَا تَعْلَمُ يَا بَنِي إِلَى أَيِّ الْدَرَجَاتِ اتَّحَدَرْتُ . سَرَقْتْ مَرَةً ثَانِيَةً ثُمَّ أَصْبَحْتَ سَكِيرًا مَعَ السَّكَرِينَ وَ بَطَالًا مَعَ الْبَطَالِينَ وَ نَجْسًا مَعَ النَّجَسِينَ . لَقَدْ خَنْتَ مِنْ أَئْتَمْنِي ، وَ سَجَنْتَ فِي سَجْنِ الْعَبْدِ ، وَ أَخْذَتْ إِلَى مَدْرَسَةِ الْمُنْصَارِعِينَ وَ حَارَبْتَ فِي الْمَلْهَى الرُّومَانِيِّ . وَ قَدْ ظَلَّتْ بَعْضُ الْوَقْتِ خَادِمًا لِكَهْنَةِ آلهَةِ الْأَشْوَرِيِّينَ ، وَ ارْتَكَبْتَ جَرِيمَتِي قَتْلًا .. فَهُلْ يَمْكُنُ أَنْ يَغْفِرَ لِي كُلُّ هَذَا؟ ، فَأَجَابَهُ بُولْسُ فِي تَأْثِيرِ ظَاهِرٍ ، لَقَدْ أَوْغَلْتُ فِي طَرِيقِ الْخَطْيَةِ يَا بَنِي وَلَكُنْ هَذَا مَا فَعَلَهُ كَثِيرُونَ مَنْ قَدْ اغْتَسَلُوا بِلَنْ تَظَهَرُوا بِلَنْ تَبَرُّووا بِلَنْ تَقْدِسُوا فِي اسْمِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحَ وَ بِرُوحِ إِلَهِنَا».

فصرخ الشاب في حزن «ولكنهم لم يرتدوا قط» فأجاب الرسول «ألم تسمع يا أنسيميس أن ربنا يسوع قد أمرنا بأن نغفر لأخوتنا المسيئين إلينا لا إلى سبع مرات بل إلى سبعين مرة سبع مرات؟ ، فهل يضع لنا مقياساً للرحمة ويقصر هو دون الوصول إليه؟ ، إنى آمرك بأن تلقى رجاءك على مغفرته غير المحدودة . لقد ذهب إلى الأعمى والأبرص والعشار والزانية والمقدع والمرأة التي أخرج منها سبعة شياطين .. جميعهم ذهبوا إليه وجميعهم غفرت خططيتهم ونالوا الشفاء . فاذهبه إليه ولو كالأبرص أو من كان فيه اللاجيئون أو المفلوج وهو يكثر للك الغفران .. فهل طلبته بكل

ظاهرة في بيت قيسرو بين جنوده المختارين ، ومن الناحية الأخرى استطاع أن يسمع أعين كثرين ، من كانوا رازحين في أسر أشد وطأة من أسرهم ، وأن يزيع أثقالهم عن كواهيلهم ويرسل المنسحبين أحرازاً.

فبعد زيارة بومبونيا بقليل ، قيل له أن هناك شاباً متظراً في الخارج وهو يرغب في التحدث معه . وقد كان هو شديد العطف على الشباب في مشاكلهم وتجاربهم ، ولذلك طلب من لوقيا أن يدخل إليه الزائر . فدخل الشاب متربداً مطأطئاً رئيساً فطلب منه الرسول أن يأتي ليجلس إلى جواره . سأله الزائر بصوت منخفض لا تعرفني فأجابه الرسول قائلاً لقد التقى بكثيرين من الشباب في كثير من المدن . ولقد رأيتك من قبل وإن كنت لا أذكر أين كان ذلك ... فهل أنت أفتيخوس الترواسي؟ فقال وهو ينظر إلى الجندي الحارس «لا» ثم قال هامساً «لقد كنت مسيحيًا» فقال له سلسوس الحارس تكلم ولا تخف فإني أنا أيضًا واحد من الأخوة، فقال الشاب للرسول وهو يرفع عن وجهه القناع الذي أخفى خصل شعره وغير هيئة وجهه : «إنك سترغبني حالاً . لقد رأيتكم في مدرسة تيرانس في أفسس حين أتيت إلى هناك مع سيدى فليمون قادمين من كولوسي ، فقال الرسول «أنسيمس مرحباً بك يا بني ، وإن كنت قد سمعت عنك أخباراً محزنة من كثرين ، فجئنا أنسيميس أيام الرسول يقبل يده و الدموع تنهمر من عينيه ، ثم قال : آه يا بنتي ! إن كل ما سمعته عنى حق . نعم قد سرقت بعض المال من سيدى المحبوب فليمون وهربت من بيته و أنا الآن هارب عديم النفع . أنا عبد

و تأثر سلسوسحارس الذى سمع الحديث و قال «هذه الأقوال هي التي نقلتني من سلطان الشيطان إلى ملكوت الله ، لقد أوغلت فى طريق الخطية أكثر من كل من كانوا فى كنيتي ، و لا يمكن أن أحداً ينحدر فى طريق الإثم إلى حيث انحدرت ، لم أحجم عن أي عمل من أعمال القسوة أو الخطية فى كل صورها الكريهة، وقد أحسست أننى أشقى جميع الأحياء حتى لقد ذهبت وأنا شاكى السلاح إلى نهر التيير لأنقى بنيسى فى أعمالاته وأضع حداً لحياة العار والبطل التى عشتها ، ولكن فيما كنت أسلق الحاجز إذا بيد تقبض على ذراعى بشدة ، فالتفت وإذا بي أرى أمامى رجلاً فى ثياب العبيد . فسللت خنجرى وسألته عما إذا كان يحسب حياته رخيصة حيث أنه وهو عبد يجرؤ على أن يتغفل على مع علمه بأنى جندي من رجال الحرس فثبت الرجل نظره فى وقال إننى أعزل ولا سلاح بيدى ويمكنك أن تقتلنى إن أردت . ولكن سأحاول أن أحول بينك وبين الانتحار.

فأجبته فى عبوسه ظاهرة «حياتى هى ملكى أنا وحدى» فقال «كلا ، فإن حياتك ليست ملكاً لك ، ولكنها لله الذى أعطاها لك . لقد أقامك هنا ولا حق لك فى ترك مقامك» ذلك الرجل هو نيريوس أحد عبيد بوديس المحررين . وقد قادنى بعيداً عن النهر وتحدى طويلاً وكان هو أول من أعطاني الرجاء فى أن أعيش لأشياء أفضل . وقد علمتى عن المسيح وعن وعده القائل «من يقبل إلى فلا آخرجه إخرجاً هذا الوعد كان عليه خلاصى . حين كنت وثيناً عرفت الذنوب والعار ، ولكن لم أكن أعلم أنها

قلبك» ، فقال أنسيمس لا يا أبي ، إذ لم أستطيع ذلك . فمنذ ذلك اليوم الذى سرقت فيه المال من فليمون وهربت لم أصلى إلاقليلاً جداً . لقد شعرت كائنى لا أستطيع أن أصلى ، وأن الله لا يسمع لى صلاة . وقد احتجب عنى وجه الله خلف سحابة يأس مخيفة ، و جعل الشاب يتلوى من فرط الألم والحزن و صاح قائلاً «إنى مرفوض و ضال وهالك و لا نصيب لى فيه . إن نصيبي هو الآن مع العالم الذى رأيت كثيراً من فجوره و الذى أمقت جرائمه . ولكن منذ أسبوعين فقط بدأ يشرق أمامى بصيص من نور الرجاء ثانية » ، فسأله الرسول «وما الذى أعطاك الرجاء؟» ، فقال لوقا الأنطاكى الذى هو معك الآن كان قد أعطى جزءاً من بشارته لإحدى جواري أوكتافيا ، وقد ذهبت أنا أيضاً فى معية تلك الإمبراطورة العresse إلى بنداثريا و هناك قرأتُ مثل الابن الضال الذى نطق به السيد . وقد حاولت أن أقول أنا أيضاً «أقوم وأذهب إلى أبي و أقول له يا أبي ..» وهنا توقف أنسيمس عن الكلام . و مع أنه بذل جهداً ليتكلم فإنه لم يستطع متابعة كلامه . و امتلاً قلب الرسول عطفاً عليه إلى حد أنه لم يجد كلاماً يقوله له ، فوضع يده على رأس الشاب الجاثى أمامه و رفع عينيه إلى السماء مصلياً لأجله . ثم خاطبه لوقا «يمكنتى أن أخبرك يا أنسيمس عن كلام آخر نطق به السيد فلقد صرخ قائلاً (تعالوا إلى يا جميع المتعبين و الثقيلى الأحمال، وأنا أريحكم» و قال أيضاً من يقبل إلى فلا آخرجه خارجاً» فسأله أنسيمس بلهفة هل قال هذا؟ ! فأجابه لوقا مؤكداً «نعم و لن تزول كلمة واحدة من كلامه».

ما عاد تحت رحمة أى سيد وما عاد معرضًا لأهوال الصلب أو الجلد أو التعذيب ، أما الآن فإذا قال له أنه لا يزال عبداً فريجياً ، أن الواجب يقتضيه العودة إلى بيت فليمون والتعويض عما كان قد سرقه منه وتحمل القصاص الذى كان يفرضه عليه قانون مدينة كولوسى ، وأن يضع حياته المستقبلة بدون تحفظ بين يدى سيده ، ويواجه الإذلال الناتج عن عودته إلى رفاقه القادمى كلص هارب... كل هذا كان بمثابة حكم الموت عليه ، وقد كان هنالك اعتبار آخر زاد جرحه إيلاماً ذلك أن محبته لابنة نيريوس الجميلة ثنت وترعرعت فى قلبها ، وكان يعتقد أنها محبة لم تكن بلا أمل أو رجاء . فلو ظل فى روما وكعبد محرر يحيا حياة شريفة وذلك ممكן بفضل ثقافته اليونانية ، لكن من المؤكد أنه يظفر بذلك الفتاة المسيحية . أما أن يعود إلى كولوسى كعبد مذنب ، وقد يضطر إلى أن يظل عبداً هناك على ضفاف نهر الليكس حتى يمسى شيئاً مهدماً واهن القوى فتلك هي التضحية الهائلة

أنسيمس وعودته إلى سيد فليمون

صراع مع النفس :

إن خلوص توبته ثبت أمام هذا الامتحان . وبعد صراع عنيف مع نفسه أحنى رأسه وقال «إذا كان هو واجب يا أبى فسأفعله» فقال له بولس الرسول «نعم هذا هو واجبك يا ابنى أنسيمس . ولا تشک مطلقاً في أن طريق الواجب الذى تسير فيه سيكون طريق السعادة لك . أتک ستربح بخسارتك ، وانى أعرف فليمون وامرأتة إيفية وابنها أرخيس وأنا أحبهم جميعاً ،

يمكن أن تمحى «فقال الرسول» شكرأ لله على جوده العظيم . وأنت يا ابني أنسيمس اسمع ما قيل لك . أنه لم يكن لك ثمر من الأشياء التي تستحق منها الآن لأن نهاية تلك الأشياء هي الموت . أما إذا رجعت إلى المسيح الآن فسيكون ثمرك للقداسة والنهاية حياة أبدية «ونال من يد الرسول صبغة أروية المقدسة ، فتجددت حياته ولقد أكمل ذلك اللقاء الغيير الذى حدث في قلب ذلك الشاب الفريجى . كان قد عاد من بندرا ثريا إنساناً محرراً لأن أوكتافيا كانت قد حررت كل عبيدها المسيحيين قبل موتها ، وحصل من مولاته الكريمة على عطايا جزيلة كفلت له عيشة هنية فاستأجر لنفسه مسكنأ، وتوسط بولس الرسول لأجله فقبل بين جماعة المسيحيين من جديد فعادت إليه الحياة والسعادة وكان يخدم الرسول ويقضى له حاجاته باجتهاد ومثابرة ، فحين كان بولس الرسول بحاجة إلى من يخدمه ويلبي طلباته ، كان حاضراً ومستعداً للخدمة ووجد الرسول في صحبته ونشاطه ومرحه ما خف عن متابع الأسر . لم يمض وقت طويل حتى أطلع أنسيمس الرسول على كل ما حدث له ، ولم يخف عنه شيئاً ، وطلب أن يسدي إليه النصح فيما يجب عليه أن يفعل مستقبلاً . ولكن تلك النصيحة كانت في نظره ضربة قاتلة لكل آماله . ففي حمية الشباب نسى أنه لا يزال عبداً لفليمون ، وأن تحرير أوكتافيا له كان نتيجة عدم معرفتها أنه كان ملكاً لسيد آخر ، وكان ذلك التحرير باطلأ شرعاً . ولذلك كم كانت دهشته عظيمة حين أخبره الرسول أنه ليس حرأ بل لا يزال عبداً . ولدى سماعه كلام بولس الرسول تراءى له كأن بناء حياته قد تحطم وتهدم من أساسه . كانت قد تملّكه هزة الفرح وهو يفكّر أنه

براءة بولس الرسول

لم تثر قضية بولس الرسول اهتماماً كبيراً . وحين عرضت على نيرون كان مشغولاً في كتابة قصيدة شعرية كلها هجو خليع . وقد جعل يغير ويبدل ويشطب في شعره ، حتى لم يستطع أحد أن يقرأ المكتوب . ولذلك لم يعر الامبراطور المشتكين على بولس الرسول اهتماماً يذكر وكانت حجتهم واهية فرفضت شكوكاهم ، في حين أن شهوداً كثيرين شهدوا ببراءة بولس الرسول السجن .

كان يمكن أن تكون التهمة مخيفة وخطيرة ، لولا غرق تلك السفينة التي كان يوليروس قائد الملة قد أخبر أنه كان على ظهرها وفد من المشتكين على بولس الرسول ذاهبين إلى روما ، ومن بينهم شخصيات عظيماتان هما يوسيفوس العالم اليهودي وإسماعيل ابن فابي رئيس الكهنة . ولكن من بين المتنى نفس الذين كانوا على ظهر السفينة ، لم ينج غير ثمانين التقطهم سفينة قيروانية ، بعدها قضوا في البحر ليلة هائلة يصارعون الأمواج الصاخبة والرياح الهوجاء . وقد نجا إسماعيل ويوسيفوس ، ولكن أكثر الشهود كانوا قد ابتلعوا البحر . ومن الناحية الأخرى فحين كتب أناس مختلفون يشهدون ببراءة بولس الرسول ويطلبون الرفق به ، أمثال فلكس وفستوس ويوليلوس قائد الملة ، وبوليلوس حاكم مليطة ، ولسياس أمير كنيبة أورشليم ، وحتى الملك أغريبايس الثاني وبرنيكى قدماً شهادتهما لصالح بولس الرسول . ولم يعد هنالك سبب لإيقائه سجينًا بل حتى مسئول السجن لم يكن يبغى إبقاء

وسأكتب إلى فليمون أوصيه بك خيراً . ولاشك عندي في أنه سيعتقك لأنني في الحق يحتاج إليك إنك ابن لي وقد ولدتك في قيودي . وأن الخدمات النافعة الكثيرة التي قمت بها لبرهن أن معنى اسمك ينطبق عليك . ولكن حتى لو لم يعتقك فليمون فهو الآن أخوك في المسيح وستكون محبتكم متبادلة ، ولا يمكن أن أية عبودية تحول بينك وبين حقيقة كونك عتيق الرب ، لأن من دعي في الرب وهو عبد فهو عتيق الرب ، كذلك أيضاً الحر المدعوه هو عبد للمسيح (اكو ٧ : ٢٢)

وقد كتب بولس الرسول رسالته إلى فليمون ، فصارت بمثابة أساس للتحرر الكامل . وقد أرسلت بيد أنسيميس إلى سيده الأول ، وصاحبها إلى هناك تيخيكس الأنفسي الذي كلف بأخذ الرسالة إلى أفسس والأخرى إلى كولوسى .

وقد دعا الرسول داعاً مؤثراً ، لأنه مع كون قلبه مفعماً بالرجاء فإن نتائج محاكمته القادمة كانت غير معلومة ، وكانوا يشكّان في أنهما سيريان وجهه فيما بعد . وسُكِّت عينا الرسول دموعاً غزيرة وهو يضم إلى صدره أنسيميس الذي صار عزيزاً عليه جداً ، ولكنهما ترکا الرسول تحت رعاية أرستخس والبشيرين مرتين ولوقا . وفوق الكل فإن تيموثاوس كان قد عاد من أفسس ليقى معهم . وكان تيموثاوس بالنسبة إليه ابن شيخوخته .

أسير فقير في قبضته لا يمكن أن يبتذل منه مالاً . لذلك أطلق سراح بولس الرسول .

أنسيموس يستقبل بولس الرسول في بيت فليمون

سار الرسول يتبعه رفقاء الفرحون إلى أوستيا، ومنها إلى أفسس ، وبعدما مر من هناك مروراً سريعاً ، سار إلى كولوسى للقيام بزيارة الموعودة . وكان أنسيموس أول من استقبله بفرح في بيت فليمون . وحين ضمه بولس الرسول إلى صدره علم أن كل آماله قد تحققت . فإن فليمون بعدما قرأ الرسالة المرسلة له استدعي ذلك العبد الهارب وأعلن له أنه قد سامحه ، وأمر عبيده لا يذكروا شيئاً عن ماضي أنسيموس وكذلك أبفية وأربخس عاملاه بكل رفق . وأعاد أنسيموس إلى سيده المال الذي كان قد احتلسه ، وحاول بكل جهده أن يصلح أخطاءه الماضية . ولم يكن فليمون يستحسن في تلك الظروف أن يحرره حالاً . أما الآن فإكراماً لزيارة بولس الرسول له حرره هو وبعض عبيده المسيحيين .

ومن ذلك اليوم سمح له بأن يكرس خدماته لراحة بولس الرسول .
وحيثند سافر مع بولس الرسول إلى كريت .

نيرون يضطهد المسيحيين في روما

بدأ الحريق ليلاً ، في ليلة ١٨ / ١٩ يوليه سنة ٦٤ م ، وحتى تبعد الشبهة عن نيرون أصدق التهمة بالمسيحيين وبدأ يضطهدتهم . لم تصل أخبار

اضطهاد نيرون للمسيحيين إلى مسامع بولس الرسول إلا بعد وقت طويلاً .
فبعدما ترك بيت فليمون الرجل الكريم المضيف ، ذهب إلى تموثاوس في أفسس ، وكان أنسيموس رفيقاً لبولس الرسول في السفر ، يتولى أمر الاهتمام به في شيخوخته وضعفه . بعدهما وصلا إلى كورنثوس ، بلغتهما الأخبار المحزنة بأن كنيسة المسيح قد ضربت كما بتصاعقة بيد عدو المسيح ، مع أن تلك الأخبار لم تأت مفصلة ولا دقيقة ، فإن أول خاطر خطر لبولس الرسول هو أن يسرع إلى روما لإسعاف إخوه هناك . ولكن تيطنس الكورنثي الذي كان مع بولس الرسول ، ذكره بأن اثنين من إخوه الرسل هما الآن في روما ، وأن الضطهاد لا بد أن تندلع ناره في غالبية الكنائس في أرجاء الإمبراطورية ، وأن كنيسة كريت وكثيراً من الكنائس في أوروبا التي كان الرسول قد أسسها بنفسه ، أحوج إلى وجوده من كنيسة روما .

وحيث أن بولس الرسول كان يتوق إلى مقاومة الهرطقات التي كانت قد بدأت في الظهور ، والتي كانت في نظره أخطر على الكنائس من الضطهاد ، عدل كارهاً عن عزمه في الذهاب إلى إيطاليا وأقلع إلى كريت ، ولم يكن إلى ذلك الوقت قد علم أن الرسول بطرس قد ختم شهادته بدمه ، وأن يوحنا قد نهى إلى جزيرة بطمس .

ولكن أنسيموس كان منقبض النفس ، بسبب المخاطر التي كانت تهدد حياة ابنته نيريوس التي كان يحبها فتوسل إلى الرسول بولس حتى يسمح له بأن ينوب عنه في حمل رسائل التعزية والتشجيع إلى الأخوة الذين في روما .

بريسكلا تقدم رسائل عزاء

ولكن بريسكلا زوجة أكيليا التي كانت قد عادت من أفسس إلى روما في شئون تتعلق بتجارتها ، زارت أولئك السجينات وقدمت لهن رسالة العزاء ، إن هذه السيدة اليهودية بعد ما تنصرت كان لها فخر المساهمة مع زوجها وأخرين ، في تأسيس الكنائس الثلاث الكبرى في روما وكورنثوس وأفسس ... هذه السيدة لم يُقبض عليها ، وذلك بسبب إقامتها الطويلة في آخائية وأسيا . وقد أخبرت أولئك النسوة التي زارتهن في السجن أنه لا جدوى من المقاومة ، وأن الإهانات التي يصفعها الوثنيون عليهم ، لا يمكن أن تقلل من لمعان إكليل استشهادهن ، فإذا تعززهن بتصائح بريسكلا الحكيمة جعلن يتمشين على المسرح حاملات بعض القوارير على أكتافهن . وقد تحملن الموت بكل شجاعة . أما النسوة الباقيات فقد كان مصيرهن أرعب من مصير هؤلاء . فقد جاء بعض المصارعين وربطوهن في قرون ثيران هائجة ، وكانت تلك الثيران تسجّبهن على الأرض ثم تنطّهن حتى الموت ، وقد كان احتمالهن ووداعهن مؤلمة لقلوب كثير من المترجّبين . وكان نيرون يشخص إلى كل مناظر الخزي والموت تلك في غير استحياء ، كان جالساً على عرشه متوكلاً في استرخاء على وسائل ذهبية وأرجوانية ، وهو ينظر من خلال الزمرة المكثرة مستعيناً بها على قصر نظره . كان يرى مناظر كثيرة ثيروحوشيه ، وهو يرى الأبرباء يقطّلون بعدما يُعلّبون عذابات مهينة . وكان يُعجب من جلد أولئك المسيحيين واحتمالهم . أماهم فقبلما افتتحت عيونهم

فجر اليوم التالي . وفي ذلك اليوم نفسه بدأت المذابح ، التي فيها اصطدمت الكنيسة بصبغة الدم . وقد كرسـت روما منذ ذلك اليوم في ذكرى العالم المسيحي كمدينة القديسين القتلى ، لأن الوثنية كشفـت حينـذاك أيـابـها وكأنـها لا تعرف الخجل ، وقد سـكـرتـتـ من دماءـ قدـيسـيـ العـلـىـ الأـبـارـ.

فـفيـ رـومـاـ وـفـيـ عـهـدـ نـيرـونـ ظـهـرـ العـالـمـ الوـثـنـيـ فـيـ أـسـوـاـ حـالـاتـ ، وـعـمـلـ أـشـرـ مـاـ يـكـنـ عـمـلـهـ ، وـإـذـ بـالـمـسـيـحـيـةـ تـبـرـهـنـ فـيـ الـحـالـ عـلـىـ أـنـ الرـجـوـلـةـ يـمـكـنـهـاـ أـنـ تـحـفـظـ بـعـظـمـتـهـاـ وـجـلـلـهـاـ ، فـيـ الـوقـتـ الذـىـ يـبـدوـ وـكـانـهـ مـدـوـسـةـ تـحـتـ أـقـدـامـ الـخـنـازـيرـ . إـنـ الرـقـةـ وـالـعـظـمـةـ الـلـتـيـ تـحـمـلـ بـهـمـاـ الـمـسـيـحـيـوـنـ صـنـوفـ الـاضـطـهـادـ ، أـضـرـمـتـاـ فـيـ قـلـوبـ كـثـيرـ مـنـ الـوـثـنـيـنـ ، لـيـسـ فـقـطـ الـانـدـهـاشـ وـالـذـهـولـ ، بلـ التـكـرـيمـ أـيـضاـ . وـقـدـ اـتـضـحـ أـنـ سـرـ سـعـادـةـ الـإـنـسـانـ وـرـجـائـهـ ، لـمـ يـكـنـ فـيـ الـعـالـمـ بـكـلـ مـاـ فـيـهـ مـنـ مـبـاهـجـ وـمـلـذـاتـ وـإـجـرـامـ هـائـلـ ، بلـ فـيـ الـكـنـيـسـةـ بـمـاـ فـيـهـ مـنـ فـقـرـ وـمـاـ تـحـمـلـهـ مـنـ عـارـ . بـدـأـتـ تـلـكـ الـمـذـبـحةـ بـالـجـلـدـ الـقـاسـيـ عـلـىـ أـجـسـامـ الـضـحـاياـ ، لـكـيـ تـكـوـنـ تـلـكـ الـعـذـابـاتـ التـيـ لـاـ تـحـصـيـ تـكـفـيـأـ تـرـضـاهـ الـآـلـهـةـ . وـقـدـ جـاءـ عـلـىـ الـرـوـمـانـ وـقـتـ كـانـواـ يـعـقـدـونـ فـيـ أـنـ غـضـبـ الـآـلـهـةـ قـدـ اـشـتـعـلـ عـلـيـهـمـ ، لـأـنـ بـنـيـالـاـ جـلـدـ أـحـدـ عـبـيـدـهـ فـيـ سـاحـةـ الـمـصـارـعـاتـ أـمـامـ الـمـتـرـجـيـنـ ، أـمـاـ الـآنـ فـقـدـ أـصـبـحـوـاـ أـكـثـرـ وـحـشـيـةـ مـنـ الـوـحـوشـ !ـ وـحـيـثـ أـنـهـمـ أـرـادـوـاـ أـنـ يـضـيفـوـاـ السـخـرـيـةـ إـلـىـ التـعـذـيبـ ، لـمـ يـكـفـهـمـ فـيـ تـلـكـ الـمـنـاظـرـ الـتـكـفـيـرـيـةـ أـنـ يـطـلـقـوـاـ الـوـحـوشـ عـلـىـ تـلـكـ الـعـزـلـ الـمـسـاكـيـنـ لـتـفـرـسـهـمـ ، بلـ كـانـ لـابـدـ مـنـ اـبـتـكـارـ شـيـءـ طـرـيفـ يـدـخـلـ السـرـورـ إـلـىـ نـفـوسـ الـمـتـرـجـيـنـ .

على العالم الآخر لترى الملك في جماله ، كان آخر ما رأوا على الأرض ضد المسيح هذا وهو شخص في واقحة ونهم إلى مناظر تعذيبهم وقتلهم.

فكرة شيطانية

ولكن الباقيين على قيد الحياة من أولئك الأسرى كانوا كثيرين جداً .
وبعدما نفذ كل ابتكار أوحى إليهم به قسوتهم ، وبعدما تكدست جثث المصلوبين والمحترقين والممزقين الأجسام بعضها فوق بعض ، حتى باتوا يخشون من تفشي الوباء ، كان لا يزال باقياً في السجنون ألف من أولئك الأسرى أحياء ، حيث خطرت لنيرون فكرة شيطانية ... أليس السبب في تعذيب هؤلاء النساء وقتلهم هو لكن يُكفروا عن جريمة حرق المدينة؟ إن القصاص المناسب والمجانس لتلك الجريمة هو رداء من القار الملتهب بالنار.

ولكن كيف لم يخطر له ذلك على بال من قبل ؟ كان نيرون يملأ حدائق جميلة تتد من جبل الفاتيكان إلى نهر التiber ، وكان هنا لك ملعب أقيمت فيه مسلة جُلبت من هليوبوليس (وهي لا تزال إلى اليوم قائمة في ساحة كاتدرائية القديس بطرس).

إذن فسيفتح تلك الحدائق للجماهير ليروا منظراً جديراً بنيرون وأمثاله ، وقد نقله عن كاليفولا المجنون . فسيكون لكل واحد حرية التجوال في أي مكان يشاء في تلك الغابات ، أو يجلس في خلوة ظليلة وسيتكلل نيرون بإيانارة ذلك المكان بنور لم يروه ولا سمعوا عنه من قبل ، صادراً من ألف مشعل أدمى كل منها شهيد مختلف في رداء من اللهب . وهكذا كان . إن

الاستشهاد بالطرح بين أفواه الأسود أو الكلاب الوحشية أو بالشنق ... كل ذلك غداً ملأاً لتكراهه ولكن هنا سيرى نيرون منظراً مثيراً له ولكل روما ، لأنه سيحضر بنفسه ويتمتع تمعناً كاملاً بشهوته الكريهة . فعلى طول الطرق والمعابر . نصب ساريات كبيرة أوثق إلى كل منها رجل أو امرأة ، بعدما أفرغت منهم كل السجون ، وأمام كل منهم سارية مسننة أتصر من الأخرى ، مثبتة تحت ذقن الضحية ، ل بلا يخضسوارؤسهم على صدورهم فلا يتمكن المفترجون من رؤية تعbirات وجوه المعذبين عند موتهم . وقد اشتغل مئات من عبيد نيرون في ذلك العمل ، لأن تلك الاستعدادات كان يجب البدء بها قبل إقبال الظلام بساعات طويلة . وأخر عمل قاموا به كان أن يغمسوا ملابس أولئك الشهداء في القار والزيت ، ويكوموا حول أقدامهم حتى إلى أحقائهم أكوااماً من القش والخطب والنشارة ولم توقد تلك المشاعل حتى أقبل الظلام ، لكن يتمتع شعب روما تمعناً كاملاً بتلك الزينة ويفرحوا فرحاً عظيماً .

أنسيموس ينقذ نيريون

ولكن أنسيموس قد عقد العزم على إنقاذ نيريون مهما كلفه ذلك ، فإذا كان يسير حول الحدائق وقد تنكر في زى عبد تمكن من أن يظفر بالدخول بسماح من أحد رجال الحرس الذي كان مسيحياً . ما دام قد دخل فلن يكتشفه أحد ، حيث أنَّ كل واحد كان منهمكاً في عمله . فكان أحياناً يحمل سارية ، وأحياناً أخرى جرداً ملوءاً بالقار أو بعض الوقود وهو يسرع من

الجلادون إلى الزقاق الذى كان فيه نيريوس تسلل أنسيميس خلفه وقطع ربطه وطرح عنه السلسلة التى كانت حول عنقه ، ومزق الثوب الخارجى الملطخ بالقار ، وأسرع بذلك الشیخ خلف المعبد ثم رفعه إلى الجدار واختباً كلاهما في مر مظلم تحت الأرض في المدفن القريب.

وقد لاحظ الجلادون بالطبع أن أحد الضحايا قد هرب بطريقته غامضة ولكن ذلك لم يكن يعنيهم كثيراً . وقد همس أحد أولئك الجلادين في أدنى الآخر قائلاً «لن يلاحظ هذا أحد . فلينج ذلك المسكين بنفسه ، وما الذي بهمما». في ذلك الوقت اندلعت ألسنة النار في كل مكان حيث كان الشهداء موثقين ، وارتقت بلمعان مخيف ، فأممست كل سارية مشعلاً ملتهباً بنار الجحيم ، والتفت سحب الدخان الأسود حول الضحايا ، فارتقت صرخات الألم التي أغرقها أصوات الموسيقى والضحك والأغاني المبتذلة.

هذا وأن تلك المسالة التي شاهدت أحاديث تلك الليلة وما وقع فيها من أرجاس ، والتي كُرست لإحياء ذكرى أولئك الشهداء المجهولين ، لا تزال قائمة في مكانها تذكاراً حياً لنصرة المسيحية . وعلى تلك الأرض التي سقطت الشهداء صرعى على أدبيها ، والتي ارتوت بدماء الأبطال المجهولى الاسم ، أقيمت كاتدرائية عظيمة تكريماً للمسيح الذي ماتوا اسمه ، وحول قبتها العظيمة كتب بحروف من ذهب اسم ذلك الرسول الذي سقط أول من سقطوا صرعى قسوة الوحش الغاضب «أقول لك أنت بطرس وعلى هذه الصخرة أبني كنيستى» .

مكان إلى آخر . وكلما كانت تسنح له الفرصة ، كان يهمس بكلمات التشجيع والتعزية التي كان قد تعلمها من بولس الرسول ، لأولئك الشهداء . فكانت الابتسamas تشرق على وجههم . أخيراً عثر على نيريوس الذي لحسن الحظ كان موثقاً إلى سارية في أحد الأزقة البعيدة ، فإذا كان نيريوس يصلى صلاة عميقه وقد مات عن هذا العالم أدعني في يوم الضيق أتفذك فمجدهنى (مز ٥٠ : ٥١) ولم يلاحظ وجود الشاب بل أجمل حين سمع صوتها يهمس في ذنه قائلاً ، إنه سيحاول مساعدته على الهرب . فقال نيريوس «هذا أمر مستحيل فأنا مستعد لأن أشاطر أخوتى مصيرهم فالبس الإكليل الذى يلبسوه» فقال أنسيميس لا يائىءى ، بل فكر في جونيا التي إذا مت فستتركها بيته بلا معين في هذا العالم . إني لا أجسر على أن أقول شيئاً آخر ، وإنما كان مستعداً للهرب في لحظة خلف ذلك المعبد إذا تيسر لي إطلاق سراحك » . وبعدما استطاع أنسيميس ذلك المكان لاحظ أن الزقاق الذى كان نيريوس موثقاً بالقرب منه كان قريباً من جدار ، وعلى مسافة يسيرة وجد إحدى الحفر التي تتكدس فيها جثث الفقراء . وإذا تسلل إلى مكان قريب وجد سلة بها مطرقة وبعض المسامير الغليظة فاختطفها وإذ اختباً خلف المعبد الذى كانت تحيط به الأشجار جعل يدق المسامير بين أحجار الجدار حتى يمكن تسلقه . وحيثند انتظر فرسته ، وهي الوقت الذى يتزاحم نحو ألف من المترفين لدخول الحدائق ويبدأ بإشعاع النار . وقد كان مصيبة في كل تقديراته ، فإن منظر الشغب والاضطراب والأصوات التي لا عدد لها حدثت عندما أشعلت النار في الشهداء في وقت واحد ولكن قبلما وصل

أنسيميس يتزوج جونيا :

بعدما أفلح أنسيميس في إنقاذ نيريوس من الموت احتراقاً في تلك الليلة الهائلة التي استشهد فيها آلاف من المسيحيين ، سار الإثنان معاً تحت جنح الظلام إلى إريشيا فوصلها عند بزوع النجم . وقد رحب بهما درومو العجوز أجمل ترحب . أما جونيا فقد استقبلت أباها بفرح طاغ وقلبها يفيض حباً وشكراً وقد انتحى أنسيميس جانباً ريشما عانقت أباها . فلما كفت جونيا عن البكاء على عنق أبيها ، التفت إلى منقذه وشكرته من أعماق قلبها ، لأن نجاهة أبيها من العذاب والموت تعزى إلى شجاعته وتفانيه في خدمتها . وفي ذلك اليوم ربوا خططهم . ففي تلك المزرعة الصغيرة والكرم الذي كان يملكه بوديس كان يوجد عمل لكل منهم وقد قرروا أن يلبث نيريوس وجونيا هنالك في ذلك الحين فكان نيريوس يعمل في البستان ، أما جونيا فكانت ترعى القطعان وتطعم الطيور وتساعد في تدبير شئون البيت . وقد كانت في أمان طالما بقيا محتاجين في وسط الأحراس ١١ ياً بذلك البيت الوضع يفي تلك البقعة النائية . وكان يمكنهما البقاء هناك حتى تحسن الأحوال ويأتي الله بالفرج . وقد فكر أنسيميس أن من واجبه أن يعود إلى الرسول بولس الذي كان قد كرس حياته لخدمته . وقد كانت أوكتافيا سخية معه ، فأعطته مبلغاً من المال يكفي لسد كل أعوازه . ولذلك استعد للسفر إلى كريت حيث كان يتضرر أن يجد الرسول بولس ، ولكنه قبل رحيله طلب من نيريوس المصادقة على زواجه بجونيا ... كان كلاهما مسيحيين معمددين ، وكان أنسيميس قد برهن بما فيه الكفاية على إخلاصه في إيمانه وعمق توبته عن

أخطائه الماضية . فقال له نيريوس «إننيأشكر فضلك أيها الشاب وأعلم أنك شعلة متسللة من الحريق . ولكن مجيء الرب قد اقترب والجو مكفهر ، وعدو المسيح يعمل جاهداً لكى يلاشي كنيسة الله ..

فهل هذا هو الوقت الذي فيه نزوج ونتزوج؟ أليس هو بالحرى وقتاً فيه يكون من لهم زوجات كأن ليس لهم وأن يظل غير المتزوجين في حالة العذوبة بسبب الضيق الحاضر؟ فقال أنسيميس إنني أعلم ذلك يا أبي ولكنك قد تموت وتترك جونيا يتيمية في هذه الأيام الشديدة . دعنا نتزوج حتى تجد جونيا إلى جوارها يداً تدافع عنها وتحدها . إننا سنتزوج ثم أرحل أنا لأنني سأذهب في طلب الرسول . وإن أراد الله فهو سيجعل الطريق واضحاً أمامنا ، وقد قبل نيريوس ذلك الاقتراح .

و على مسافة قريبة من روما وفي إقليم كامبانيا .الموحش ، كان نحاتي القبور يبنون تحت الأرض قبراً يسمى اليوم قبر القديس كالستوس . وهناك في كنيسة تحت الأرض وفي أحد الدهاليز المظلمة عاد المسيحيون يعقدون اجتماعاتهم في المساء أو في الصباح الباكر . وقد سار إلى هناك نيريوس وجونيا وأنسيميس بعد الغروب ، فوجدوا هناك شرذمة قليلة من المسيحيين الذين نجوا من آتون الاضطهاد . ومع أنهم كانوا يائسين إلى حد ما بسبب تلك الضربة الهائلة التي قضت على الكنيسة ، فصارت كسرة القلب على أولادها الذين ماتوا ، فإن تلك البقية عادت فامتلأت رجاءً وشجاعةً وكانت كلمة السر عندهم «ماران آتا» (الرب أت) وكانوا ينطقون بها بيقين كامل . وكان بين تلك الجماعة كلبيس الذي نجا من الاضطهاد بأعجوبة لأنّه كان شاباً

الصغيرة . وإلى الشرق على شاطئ أبونيا الغني بذكريات البطولة والفلسفة رأيا قمة جبل ميكيل التاريخية ، كما رأيا جزيرة تبرا إلى جهة الشمال . وقد طرَّ جبل في وسط البحر .

وفي ذلك الوقت الذي كان وقت أزمة انفجار عنيف قدْفَ كما من جوف هاوية ما كان في جوفه من دخان كدر تجمع في هيئة سحابة في الأفق البعيد وفي هذا المكان سمع يوحنا من أنسيميس وصفاً للمناظر التي حدثت في روما والمشاعل الآدمية التي أثارت حدائق نيرون ، وذلك بعد نجاة يوحنا بتدخل عنابة الله من قدر الزيت المغلى ونفيه إلى جزيرة بطمس .

القبض على بولس الرسول

بعد ذلك أقلع أنسيميس من بطمس إلى أفسس ، ولكنه لم يدرك بولس هناك . فسافر إليه في نيقوبوليis في أبيروس . فبعدما استراح بولس الرسول هناك مدى شهور الشتاء تجول في إقليم مقدونيا ، ومن هناك انطلق إلى ترواس . فإذا كان هناك في ضيافة كاربس فوجيء بالقبض عليه بإيعاز من اسكندر النحاس الذي كان يحدِّد عليه ، لأن عمله الذي كان منحصرًا في صنع تماثيل الآلهة ديانا (أرطاميس الأفسسيين) كان قد صار إلى كсад بسبب كرازة بولس . وكان القبض على الرسول ليلاً وعلى غير انتظار ، حتى لم يكن لديه وقت ليأخذ معه الكتب أو الرقوق أو حتى رداءه . وقد أسرع به القابضون عليه إلى أفسس حيث حكم أمام الوالي . فلما أيقن أنه لن يحاكم بالعدل هناك رفع دعواه إلى قيصر ثانية . وفي غضون مدة سجنه في أفسس

نجح في الاختباء فلم يعثر عليه من كانوا يبحثون عنه وقد أصبح هو أسفقاً على تلك الجماعة الصغيرة ، وهو الذي عقد لأنسيموس على جونيا وربطهما بالرباط المقدس .

أنسيموس يعود من روما للبحث عن بولس الرسول ويلتقي بالقديس يوحنا يوحنا الحبيب

و قبل ابتدأ الفجر كان أنسيميس يسير في اتجاه ريجيوم ، ومن هناك قصد أن يمضي إلى مسانا ومن ثم يذهب إلى لسانية عن طريق البحر وهي مدينة واقعة على شاطئ جزيرة كريت الكثيرة العواصف . فلما وصل هناك لم يجد أحد سوى تيطس الكورنثي الذي كان الرسول بولس قد وصل إليه أمر رعاية تلك الكنائس المجاهدة التي كانت قد تكونت حديثاً . فاقلع أنسيميس في سفينة بحثاً عن الرسول . ثم أرست تلك السفينة في بطمس حيث بقيت يوماً كاملاً وقد وجد التلميذ الحبيب في منفاه هناك . وأدخل سمو شخصية يوحنا الرسول الرهبة في قلوب سكان تلك الجزيرة الصخرية فتركوه يقضى وقته كما يشاء وقد جلس أنسيميس إلى جانبه تحت شجرة زيتون على صخرة مكسورة بالعشب كانت أعلى بقعة في الجزيرة فجعلها يتحدىان معاً ساعات طويلة ، كان المنظر جميلاً فقد كان تحهما البحر الهادئ بلوته الأزرق ، ترفف فوقه طيور الماء بأجنحتها الجميلة . وقد سكبت الشمس نورها على الصخور فأكسبتها لوناً أحمر داكناً فيما عدا الأماكن التي نبت فيها العشب ، وقد نشرت في البحر هنا وهناك مجموعة من الجزر

انتعشت روحه حين أتى لزيارته أنيسيفورس وابنه تيموثاوس المحبوب لديه والذى عاش معه سنتين طويلة واشترك معه فى احتمال المشقات حين كان محترقاً مطارداً من الأعداء وقد افترقوا بعدما سكبوا دموعاً غزيرة ظل بولس يذكرها وقتاً طويلاً.

صار ذلك الأسير العظيم فى سفرته الأخيرة مصحوباً بمساعديه وهم لوقا وديماس وتيخيكوس وتروفيمس واراستس وأنسيمس خادمه . وقد ترك تريفيمس مريضاً في ميليتيس. أما أراستس فبقى في كورنثوس التي كان حازناً لها ، وقد سافروا في خليج كورنثوس ومنه إلى برنديزيوم (برنديزى) في بحر الأدرياتيك . ومن هناك توجهوا إلى روما ولكن في هذه المرة لم يستقبله أحد من المسيحيين في فورون أبيوس ولا في ثلاثة الحوانيت ليشجع إذ يraham ويشكر الله . فقد وجد كنيسة روما جالسة في المسوح والرماد . فلم يكن أحد يستطيع أن يزوره دون خطر على حياته وفي الحقيقة لم يبق أحد من المسيحيين ذوى المكانة العظيمة في مدينة روما . أما بومبونيا أصابتها نوبة انكاس شديدة . نقلت بسيبها إلى أحد قصورها في جبال الايفين وقد هلك كل القادة المسيحيين في ذلك الاضطهاد فيما عدا كليبس وهرماس . أما بولس فلم يشجع أحداً من الأخوة على زيارته خوفاً عليهم من الموت ، ولذلك فقد ترك وحيداً مستوى حشاً لولا مجدة لوقا وأنسيمس واهتمامهما . أما ديماس فقد تركه إذ أح恨 العالم الحاضر . أما القادة الباقيون فقد كانت الأحوال تستوجب بقائهم في كنائسهم ، كما كان من الصعب على إخوته المسيحيين أن يزوروه إذ لم يكونوا يعرفون السجن الذي كان سجيناً فيه .

هذا وأن أنيسيفورس الأنسيسى الذى قدم إلى روما لزيارة الرسول ، ابهج قلبه إذ طلبه بلا خوف وبكل اجتهاد ولم يخجل بسلسلته . فانتعشت روح الرسول في هذه المرة السابعة التي سجن فيها بذلك العطف البشري الذى كان في أشد الحاجة إليه . ولكن شعاع ذلك النور الضئيل انطفأ لأن أنيسيفورس أصبح بالحىي ومات في روما .

وقد وقف ذلك الأسير العظيم أمام الإمبراطور موثقاً بسلسلة طويلة . وكان المشتكيان الأسيويان اسكندر النحاس ، وديمتريوس الصائغ يضمرون للرسول أشد الحقد . وقد ترك بولس وحيداً ، نعم لقد صحبه أنسيمس ولوقا إلى المدخل ، ولكن لم يسمح لهم بالدخول ، وقد كتب إلى تيموثاوس يقول (فى احتجاجى الأول لم يحضر أحد معى بل الجميع تركونى . لا يحسب عليهم ولكن الرب وقف معى وقوانى لكي تتم بي الكرازة ويسمع جميع الأمم، فأنقذت من فم الأسد) (٢١: ٤ - ١٧) وقد دارت المحاكمة الأولى حول اتهام الرسول بإحداث ثورة شغب وقد استخدم بولس رعيته الرومانية وتنسى بحقوقه كمواطن رومانى وطلب أن يتولى أمر الدفاع عن نفسه . وقد كان الخطاب الذى ألقاه سفير المسيح المقيد كفيلاً بإلقاء الرعب فى قلب نيرون المستبد الذى رفعه الشعب إلى مصاف الآلهة . وقد استطاع أن يبرهن أن تصرف الرسول كان تصرف المواطن المثالى .

وبالرغم من احتقار نيرون وغضبه ، فقد صوت القضاء بمحض اقتاعهم . وهكذا تبرأ بولس من التهمة الأولى . أما التهمة الثانية فهي أن بولس مسيحي ويتعنت ديانة خارجة عن قوانين الدولة وقد عرف أنه لن ينجو .

يتفرس في وجه الرسول في جزع ، ولكن حيث أن الرسول كان واهن القوى لطول مدة إقامته في السجن لم يستطع الوقوف طويلاً والتمس أن يُسمح له بالاستناد على كتف أنسيمس وهنا توصل الإمبراطور إلى الأسير فأجابه الرسول «أجيبيك بما أجاب بهنبي من أنبياء الشرق : لو أنك أعطيتني ملء بيتك فضة وذهبًا فلن أتجاوز قول رب (عد ٢٤ : ١٣) والرب قد منعني من أن أكلمك . وما هي الثروة وما هي الإمبراطورية كلها في نظري؟!

أطنن إليها الإمبراطور أنتي أخشي الموت ؟ إن الموت بالنسبة إلينا نحن المسيحيين هو الانطلاق لنكون مع المسيح ، وذاك أفضل جداً . وقد غلب المسيح الموت .

فتسأله نيرون : أما تخبرني عما إذا كانوا سيفتالونني ؟ أناشدك بمسيحك وإلهك الذي تدعوه أو أي إله آخر تكرمه وتقدسه أن تخبرني . وكان الإمبراطور يرتجف ويتحبب . فرفع بولس عينيه نحو السماء وصمت برهة ، ظل في خلالها نظر الإمبراطور المشتاق المتосل عالقاً بوجه بولس . الرسول فقال له بكل وقار (أوصي بيتك لأنك ستموت ولا تعيش ٢٠ مل ١:٢٠) فقال نيرون بانفعال شديد : زدني من حديثك وأوضح .

فرفع الرسول يده الملوثة وقال : لن أقول لك أكثر من هذا ، لكن أقول لك : تُب ، تُب عن حياة الجريمة والعار ، تُب عن جرائم القتل التي ارتكبتها... ففاطعه نيرون وقد وثب عن كرسيه المذهب والتب ووجهه غضباً : أتجرؤ على انتهاري أيها اليهودي اللعين؟ يظهر أنه لا يوجد ما يقوله لنا هنا

ولم يكن ما يهيج قلب الرسول في ذلك السجن البارد ، سوى النور الذي يشع من أعماق نفسه وتلك الشفقة البشرية التي أغدقها عليه كل من أنسيمس ولوقا ، بعدما تخلى عنه الجميع . وقد بذلك لوقا كل ما في وسعه ليبقى ذلك اللهيبي الخافق مشتعلًا في روما ، وقد أحدق به الاضطهاد العنيف . أما أنسيمس فلم يستطع أن يسامح بتصيب كبير في هذه الناحية ، وقد اعتبر أن عمله في ذلك الوقت هو أن يعزى الرسول ويعنى به . وقد كرس نفسه لهذا العمل بكل إتقان لأنه هو نفسه كان يتقدّم في المعرفة والبر حين كان يصغى إلى كلام الرسول .

الرسول أمام الإمبراطور وجهاً لوجه :

إن شوق نيرون لمعرفة المستقبل كان قد زاد فيه . وأوعز إليه سيمون الساحر أن يطلب من ذلك الرسول الأسير الذي وصفه بأنه ساحر عظيم . ومرة أخرى وقف الرسول أمام الإمبراطور وجهاً لوجه ، في يوم ساد فيه الاضطراب على أثر عودة نيرون من نابولي ، بعدما بلغه خبر ثورة فندكس . كانت مجرد مقابلة ولم تكن محاكمة . فقد قابله مقابلة خاصة وعرض عليه أنه مستعد لأن يطلقه حراً ويصفح عنه إذا كان يكشف له عن مستقبله . وقد قال أنسيمس فيما بعد ، والذي كان قد سمح له بملازمة الرسول ، وكان واقفاً في أقصى تلك الحجرة ، قال أنه لو نطق الرسول للإمبراطور بكلمة رجاء أو حتى وبعد غامض مما يتحمل أكثر من معنى واحد لأطلق سراحه في الحال . ولكن الرسول قال إن أسرار المستقبل في علم الله وحده . ولكن كان نيرون

حيث تركته ، ورأسه ملفوف بقناعك) . فقالت له : (كذبت لقد عبر علىَّ هو وبطرس ، وعليهما ثياب ملوكية ، وعلى رؤسهما تاجان مرصعان باللآلئ . وناولني القناع وها هو) . وأرته إيه ولمن كان معه . فتعجبوا من ذلك ، وآمنوا بالسيد المسيح .

لقد انتهى عمل السيف والجنود بعد تنفيذ الحكم ، بأن يشهد قائد المائة أمام نيرون بأن الحكم قد نفذ . فتركوا جسم ذلك الشهيد على العشب الأخضر ، وبعد انصرافهم تقدم المسيحيون الذين كان الجنود قد طردوهم ، ولكنهم كانوا يتبعون الموكب من بعيد ليكروا على ^{جثة}_{الرسول} ، ويدفونها . وقد اشتراك أنسيميس ، وهو منتخب منسحق القلب في حفر القبر المجهول . وانقضت حياة أعظم الرسل .

أنسيميس يعود إلى أفسس

كانت أيام أنسيميس الأخيرة أيام سلام واطمئنان ، بقدر ما كانت أيام شبابه مكتفة بالاضطراب والمخاوف ، فبعد استشهاد بولس الرسول والاضطهادات الهائلة التي كادت تقضي على كنيسة روما ، أقترح على نيريوس وعلى زوجته جونينا أن يغادراً أريشيا ، وأما القليل الذي معهما يبنيان به بيتاً جديداً في ثياتيرا مسقط رأسه أو في هيرا بوليس أو أفسس . وقد رحب نيريوس بتلك الفكرة لأن وحشة أريشيا وكابتها أثقلت نفسه ، وكانت تساوره ذكرى العذابات التي شاهدها ، وهو يرى إخوته المسيحيين في روما يُسجنون ويُقتلون ، ولكن قبل رحيلهم أراد أنسيميس أن يتحدث

اليهودى . ثم التفت إلى أحد ضباط الحرس الذى كان معه وقال خذه من هنا ولِيُقتل في بكور الغد . فقال قائد المائة : انه من الرعایا الرومان . فقال نيرون : نعم وينبغى أن يموت قتلاً بالسيف .

وقد قضى الرسول تلك الليلة الأخيرة من حياته على الأرض ، فى نوم هنيء . كما لو كان طفلاً لا يحمل هماً . وفي الصباح استيقظ مبتسماً ومنتعشًا ، وذهب إليه أنسيميس فى السجن فى الصباح الباكر ليساعده فى إنجاز ترتيباته واستعداداته الأخيرة . وحيث لم يسمح الجنود لغير أنسيميس بأن يصحب الرسول فقد ودع لوفقاً وداعاً حاراً لأنه قد ظل وقتاً طويلاً طبيبه الحبيب وبعد ذلك سار فى طريقه ، وقد كان موته مفاجأة . وعلى بعد ثلاثة أميال من أسوار روما ، وفي سهل أحضر تحت سفح أحد الجبال كانت توجد البقعة التي تدعى اليوم (الينابيع الثلاثة) وقد ساروا إلى تلك البقعة من الصباح الباكر والأسير المؤوث يحيط به الجنود وفي مقدمتهم قائد المائة . وكان أنسيميس يتبعهم عن قرب ، لم يتكلم ذلك الشهيد إلا نادراً ، ولكن وجهه كان يشع بنور وفرح سماوى منبعث من قلبه وكانت شفاته تتحرر كان فى صلاة متصلة صامتة ، ولم يكن خائفاً وبينما هو ذاذهب مع السيف التفت به شابة من أقرباء نيرون الملك وكانت قد آمنت على يديه . فسارت معه وهى باكية إلى حيث ينفذ الحكم . فعززها ثم طلب منها القناع ، ولف به وجهه وأمرها بالرجوع وقطع السيف رقبته وتركه وكان ذلك سنة ٦٧ م . فقابلت الشابة السيف أثناء عودته إلى الملك ، وسألته عن بولس فأجابها : (إنه ملقي

أنسيموس الأسقف الشهيد

في الوقت المناسب أفرز أنسيموس للخدمة ، وبعد سنتين صار فيما بعد أسقفاً على أنسيوس بيد معلمه فليمون ، خلفاً للقديس تيموثاوس الرسول ، وهناك بعدهما صار شيخاً متقدماً في الأيام في سنة ١٠٧ ميلادية ، التقى بالشهيد أغناطيوس الأنطاكي ، الذي سبق للإشتهراد في الكولوسيوم تحت حراسة عشرة من الجنود ، كان يلقبهم بالفهود لشراستهم . وقد أبدى أنسيموس رفقاً وعطضاً شديدين نحو هذا الشهيد ، حتى أن أغناطيوس كتب رسالة إلى أنسيوس يشكر فيها أنسيموس على المحبة القوية التي أظهرها له.

أما أنسيموس فتعجب كثيراً في بشارة الإنجيل ، وهدى الكثرين من الأمم إلى طاعة الإنجيل ، إلى أن أوقف وأرسل إلى رومية ، حيث سجن ثم أطلق ، فعاد يبشر . فأوقفه ثانية الحكم ترتس ، ولما لم يستطع أن يحمله على تقديم الذبائح للآلهة أمر برجمه . فرجم ومات شهيداً في مدينة رومية العظمى وانتقل إلى الرب في اليوم الحادي والعشرين من شهر أكتوبر ، وقد دُفن جسده الظاهر في رومية . ولكن فيما بعد نُقلت أعضاؤه المقدسة إلى مدينة أنسيوس . ويعيد له الروم الكاثوليك في ١٥ من شهر شباط .

بركة صلواته فلتكن مهنا

ولربنا المحبّة إبانا أيّاً أين

جديداً خاصاً مع ابنة خاله وأخته في الرضاعة . وجدها لا تزال في القصر الذهبي ولكنها حائرة لا تعلم ماذا تفعل في المستقبل ، لقد سكبت دموعاً غزيرة على نيرون بعد وفاته ، وزينت قبره بالزهور . بل كانت تصلي لأجل روحه . لم يكن نيرون في نظرها الوحش الضارى ، بل كانت ترى فيه الشاب الذى أحياها وأججها . أما الآن ففى وسط تلك المناظر المرعية التى كانت تشهدها روما والتي كانت أفينيكي ترجع أن أهدافها سيطرت بسبب الصراع الناشب بين القواد والتباين على السلطات فقد باتت حياتها فى خطر . وبغض النظر عن المخاطر التى لا شك فى وقوعها عليها فقد كانت تتوق منذ زمن بعيد إلى الهروب من وسط ذلك المجد الباطل . ولذلك طلبت من أنسيموس أن يأخذها معه ، وأخبرته أنها الآن مسيحية معمدة نظيره .

وكان معها من المال ما يكفى لسد حاجاتهم جميعاً . وقد عملت استعداداتها سراً بمساعدة جواريها المسيحيات فى بيت قيسار ، فباعت جواهرها ، وأخذت منها أمنتها وأقلعت مع أنسيموس وزوجته وحميه قاصدين أنسيوس . وأقاموا فى هيرابوليس حيث أمكنهم التمتع بسماع كرازة فيليب الشamas حيث كانت أفينيكي تخدم كشمامسة فى تلك الكنيسة الصغيرة . ووزعـت أفينيـكي أموالـها عـلى الفـقراء وعاـشت سـعيدـة فى صـحبـة بنـات فيـليب العـذـارـى . وكـان أـولادـ أنـسيـموس وجـونـياـ مدـينـين لهاـ بالـفضلـ فى تعـلـيمـهم وـتهـذـيـهم .